النبذ المستطابة

في الدعوات المستجابة

تأليف
سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي

النبذ المستطابة

في الدعوات المستجابة

النبذ المستطابة

في الدعوات المستجابة

تأليف

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي

المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومَن يُضْلِل؛ فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الله سبحانه يحب أن يسأل ويرغب إليه في كل شيء، ويُلَحَّ في سؤاله ودعائه، ويغضب على من لا يسأله، ويستدعي من عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سُؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء، ولله در القائل:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه ... من فيض جودك ما عودتني الطَّلبا

والمخلوق بخلاف ذلك كله؛ يكره أن يسأل، ويحب أن لا يسأل؛ لعجزه وفقره وحاجته.

ولهذا من العجز يا عبد الله أن تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتذر من يفتح لك بابه في كل وقت، ويظهر لك غناه قائلاً:

هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فاغفر له.

فعليك يا عبد الله بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك.

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حاجَةً وَسَلِ الَّذي أَبْوابُهُ لا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤالَهُ وبُنَيُّ آدمَ حينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وكذلك فإن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه اعتراف بقدرة المسؤول على دفع الضر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواه، كما قال سبحانه:

﴿وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فلا كاشِفَ لَهُ إلَّا هو وإنْ يُرِدْكَ بخير فلا رادَّ لفضله﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال: **﴿ما يفتحُ اللهُ للنَّاسِ مِن رحمةٍ فلا مُمسِكَ لها وما يُمسِكُ فلا مُرسِلَ لهُ بعْدَه﴾** [فاطر: ٢].

إذن فلا يصلح الذل والافتقار إلا للعزيز الجبار، لأنه حقيقة العبادة.

ولذلك كان بعض السلف الصالح يدعو:

اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن المسألة لغيرك.

إي والله، فالعجب منا ومن جهلنا، ندع الدواء ونقتحم الداء؟!

قال الله تعالى: **﴿آدْعُوني أستَجِبْ لكُم﴾** [فاطهر: ٦٠].

وأخفيت حاجاتي عن الناس كلهم ولكنها لله تبدي وتظهر
لمن لا يرد السائلين بخيبة ويدنو من الداعي ويعطي ويكثر

وعن هذا قال سلفنا الصالح رضي الله عنهم:

ما من أحد إلا ويريدك لنفسه:

فالأب يريدك لراحة يجدها بقربك، وكشف غمة تلحقه عندك.

وصديقك يريدك للاستمتاع بحديثك، والانتفاع بك.

ومعلمك وأستاذك يريدك لينتفع بك في الآخرة لثواب ما علمك، ولذة يجدها في الدنيا بتخريجك من ظلمات الجهل إلى أنوار المعرفة.

وعلى هذا النمط يجري مراد الخلائق بينهم إلا الله سبحانه، فإنه يريدك ليغفر لك، كما قال عز وجل: ﴿يَدْعُوكُم لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ [إبراهيم: ١٠].

ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق من الله، فقد قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

إني لا أحمل هَمَّ الإجابة، ولكن هَمَّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه.

ومن أجل هذا؛ فاعلم أن من أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فُتح له.

ولكن باب الدعاء مَطِيَّة مَظِنَّة للخطر، وما تحت قدم الداعي دحض، فليحذر فيه الزلل، وليسلك فيه الجدد ليأمن العَثار.

ولذلك فاعلموا إخواني أرشدكم الله أن للدعاء شروطاً مفروضة، وآداباً مشروعة، ومن لزم تلك السَّيْرة على شروط الآداب أوشك أن يلج الباب، فها أنا أتلو عليكم حروف الدعاء المستجاب في هذا الكتاب الذي سميته: «النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة».

فإن أصبت وفقت فبفضل من الله وَمَنِّه، وإن أخطأت وقصرت فمن نفسي

والشيطان.

ورحم الله أخاً غيوراً ناصحاً أميناً، وجد ما يوجب النُّصح، فقام بواجِبي النُّصح والسَّتر.

وأسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يتقبله بقبول حسن، ويجعله للدّاعين إماماً، وأن يدَّخر لي ثوابه إلى يوم لقائه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وعلى الله قصد السبيل.

وكتبه حامداً ومصلياً ومسلماً
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
ضحى ثلاثاء العافية لسبع ليالي مضت من جمادى الأولى سنة ١٤١٢هـ، في عمان البلقاء، عاصمة الأردن.

* * * * *

الدعاء لغة واصطلاحاً وحقيقة

اعلموا ـ أرشدكم الله للخير ـ أن لفظ الدعاء عام، ثم يتنوع على معان ثرة وقد نطق الكتاب العزيز بها، ودونك عرض وجيز لها:

أ ـ **التوحيد**؛ قال سبحانه وتعالى:

﴿وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا معَ اللهِ أحَداً . وأنَّه لمَّا قامَ عبدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونونَ عليهِ لِبَداً . قُلْ إنَّما أدْعو رَبِّي ولا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨ ـ ٢٠].

ب ـ **العبادة**؛ قال جل ثناؤه:

﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

ت ـ **الاستغاثة**؛ قال تبارك اسمه:

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ أي: استعينوا بهم.

ث ـ **السؤال والطلب**؛ قال مولانا الحق:

﴿آدْعُوني أسْتَجِبْ لكُم﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: اسألوني.

ومنه قوله تعالى:

﴿فآدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ﴾ [البقرة: ٦١].

جـ ـ **النداء**؛ قال عز وجل:

﴿يومَ يدْعُوكُم فَتَسْتَجِيبونَ بحمدهِ وتَظُنُّونَ إنْ لَبِثْتُم إلاَّ قليلاً﴾ [الإسراء: ٥٢].

حـ ـ **الثناء**؛ قال سبحانه:

﴿قُـلِ ادْعُوا اللَّهَ أوِ ادْعُوا الرَّحمٰنَ أيّاً مَا تَدْعُوا فلَهُ الأسماءُ الحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

خـ ـ **القول**؛ قال عز ثناؤه:

﴿دَعْـواهُم فيهـا سُبْحـانَكَ اللَّهُمَّ وتَحيَّتُهم فيها سلامٌ وآخرُ دعواهُم أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ [يونس: ١٠].

وهذه المعاني تنتظم صعداً في مراقي العبودية حيث يستشعر العبدُ كمال الربوبية والألوهية فتظهر عليه خلعة الافتقار للعزيز الغفار وتلك سمة العبودية.

ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«الدعاء هو العبادة»، وقرأ:

﴿وقـالَ رَبُكم ادْعُـوني أستَجِبْ لكُم إنَّ الَّـذينَ يستكبرونَ عن عبادتي سيدخُلونَ جهَنَّمَ داخِرين﴾ [غافر: ٦٠][1]

* * * * *

(١) صحيح، وهو مخرَّج في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (١١٦٤ / ٩١٥).

الدعاء والقدر

وقد اختلفت مذاهب الناس في الدعاء، فزعمت القَدَرية[1] أن الدعاء كله صنف واحد لا معنى له ولا طائل من ورائه، لأن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة، والدعاء لا يزيد فيها، ولا يردها، وتركه لا ينقص منها، ولذلك فلا فائدة في الدعاء والمسألة، يريدون بذلك جحود الشفاعة، وترك نصوص القرآن.

وحسبنا في مقام الرد على هؤلاء أن نتدبر كلمة ابن قيم الجوزية رحمه الله:

وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون؛ فإن اطرد مذهبهم لوجب تعطيل جميع الأسباب، فيقال لأحدهم:

إن كان الشبع والري قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل، وإن لم يقدرا لم يقعا أكلت أو لم تأكل.

وإن كان الولد قد قدر لك؛ فلا بد منه، وطأت الزوجة والأمة أو لم تطأهما، وإن لم يقدر لم يكن؛ فلا حاجة إلى التزويج والتسري... وهلم جرا.

فهل يقول هذا عاقل أو آدمي؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته؛ فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

وتكايس بعضهم وقال:

---

(١) وهم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بإرادة الله الكونية لا الشرعية.

الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض، يثيب الله عليه الداعي من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما.

ولا فرق عند هذا الكَيِّس بين الدعاء والإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب.

وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت ولا فرق، وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء:

بل الدعاء علامة مجردة نصبها الله سبحانه، أمارة على قضاء الحاجة، فمتى وفق العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد قضيت، وهذا كما إذا رأيت غيماً أسود بارداً في زمن الشتاء فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر.

قالوا: وهكذا حكم الطاعات مع الثواب، والكفر والمعاصي مع العقاب هي أمارات محضة لوقوع الثواب والعقاب؛ لأنها أسباب له.

وهكذا عندهم الكسر مع الإنكسار، والحرق مع الإحراق، والإزهاق مع القتل، ليس شيء من ذلك سبباً ألبتة، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا بمجرد الاقتران العادي لا التأثير السببي.

وخالفوا بذلك الحسَّ، والعقل، والشرع، والفطرة، وسائر طوائف العقلاء، بل أضحكوا عليهم العقلاء.

والصواب: أن هناك قسماً ثالثاً ـ غير ما ذكره السائل ـ وهو أن هذا المقدور قُدِّر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجرداً عن سببه، ولكن قدر بسببه؛ فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور.

وهذا كما قدِّر الشبع والرَّي بالأكل والشرب، وقدِّر الولد بالوطىء، وقدر

حصـول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال، ودخول النار بالأعمال.

وهذا القسم هو الحق، وهو الذي حُرِمَه السائل ولم يوفق له.

وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب، فإذا قدِّر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب.

ولما كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعلم الأمة بالله ورسوله، وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم.

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنده، وكان يقول للصحابة:

لستم تنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء.

وكان يقول:

إني لا أحمـل هم الإجـابة ولكن هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه.

وأخذ هذا الشاعر؛ فنظمه؛ فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجـوه وأطـلبـه ... من جود كفيك ما علمتني الـطلبـا

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة؛ فإن الله سبحانه يقول: ﴿**ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر: ٦٠].

وقال: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾

[البقرة: ١٨٦].

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله غضب عليه»[1].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٢ / ٤٧٧)، والحاكم (١ / ٤٩١)؛ من طريق أبي المليح عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعاً.

قال الترمذي: «وروى وكيع وغير واحد عن أبي المليح هٰذا الحديث، ولا نعرفه إلا من هٰذا الوجه، وأبو المليح اسمه صَبيح، سمعت محمداً يقوله، وقال: يقال له: القاري».

وقال الحاكم: «هٰذا حديث صحيح الإسناد؛ فإن أبا صالح الخوزي وأبا المليح القاري لم يذكرا بالجرح، وإنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث».

وسكت عليه الذهبي.

قلت: هٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات؛ غير أبي صالح الخوزي، فلم يرو عنه إلا أبو المليح، فحقُّه أن يُحْشَر في زمرة المجاهيل، لولا قول أبي زُرعة في «أجوبته على أسئلة البرذعي» (٣ / ٩٥٩): «لا بأس به»، ونقله ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩ / ٣٩٣)، وأقره.

ولذٰلك قال ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٩٢): «تفرَّد به أحمد، وهٰذا إسناد لا بأس به».

تنبيهات:

١ ـ قول الحاكم: «صحيح الإسناد»؛ لا يتوافق مع حكمه على أبي صالح الخوزي، إذ عدَّه مجهولاً لقلة الحديث، وهو كذٰلك، لولا توثيق أبي زرعة له، ولذٰلك؛ فالإسناد حسن.

٢ ـ قال شيخنا في «الضعيفة» (١ / ٢٩): «ووافقه الذهبي».

ثم قال في «تخريج العقيدة الطحاوية» (٦٥٣): «وسكت عليه الذهبي».

قلت: الأخير هو الصواب.

٣ ـ حسَّن شيخنا الحديث في «الضعيفة» (١ / ٢٩)، ثم ضعَّفه في (ص ٥٤٢ / حاشية ١)، ونبه على ذٰلك في «تخريج العقيدة الطحاوية» (٦٥٣)، ثم عاد فحسنه؛ كما في «صحيح ابن ماجه» (٣٠٨٥)، و«صحيح الترمذي» (٢٦٨٦)، وتفصيل ذٰلك في «الصحيحة» (٢٦٥٤)، وهو المعتمد؛ كما أخبرني بذٰلك شيخنا حفظه الله.

قلت: وليس في هٰذا شيء من التناقض أو الاضطراب، ولكنه دلالة على عدم الجمود، حيث يسير حفظه الله مع نتائج البحث العلمي دون تقرير مقدمات سابقة. =

وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته، وإذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه» أ. هـ[1].

* * * * *

= ولبسط هٰذه الحقيقة موضع آخر، أرجو الله أن يمكنني من ذٰلك.

٤ ـ قول الحافظ ابن كثير رحمه الله: «تفرد به أحمد»؛ لا يستقيم على كل الوجوه:

فإذا أراد تفرُّده به دون الستة؛ فقد خرجه الترمذي وابن ماجه.

وإن أراد تفرُّده به عن أبي المليح؛ فقد رواه جماعة؛ كما في كلام الترمذي، وفوق كل ذي علم عليم.

(١) «الجواب الكافي» (ص ٨ ـ ٩).

دعوة المسلم مستجابة

وفي قوله ﷺ الآنف دلالة على أن الدعاء مطلب إلهي لنيل رضاه، لأن ترك سؤال الله تكبراً واستغناءً لا يجوز في حق الغني الحميد.

وقد تمثل الشاعر هذا الحديث فنظمه قائلاً:

الله يغضب إن تركت سؤاله وترى ابن آدم حين يسأل يغضب

ولذلك فالله يحب من عبده أن يسأله ويتوجه إليه ويظهر فقره وتضرعه، وأوجب على نفسه أن لا يرده خائباً صفر اليدين كما أخبر بذلك رسوله ﷺ.

«ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

فقال رجل من القوم: إذاً نكثر.

قال: «الله أكثر»[1].

وفي هذا بيان كاف أن الله تكفل بالإجابة، لكن بشروطها، فلنبسط القول فيها صفة وحالة وزماناً ومكاناً وأدباً وما ينقض ذلك.

* * * * *

(١) صحيح، وقد خرَّجته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (١٢٢٣ / ٩٢٠، ١٢٢٤ / ٩٦١).

صفة الدعاء

١ ـ رفع اليدين :

وهو مشروع لفعله ﷺ وقوله :

أما لفعله ، فعن أبي موسى الأشعري قال :

«دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه ، ورأيت بياض إبطيه»[١] .

عن يحيى بن سعيد وشريك سمعا أنساً عن[٢] النبي ﷺ «رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه»[٣] .

وعن ابن عمر: رفع النبي ﷺ يديه وقال :

«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»[٤] .

وأما قوله ﷺ ، فعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن ربكم حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صِفْرا»[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (١١ / ١٤١ ـ فتح) تعليقاً، ووصله (٨ / ٤١ ـ ٤٢ ـ فتح) .

(٢) كذا في الأصل، والصواب : «أن» .

(٣) أخرجه البخاري (١١ / ١٤١ ـ فتح) .

(٤) أخرجه البخاري (١١ / ١٤١ ـ فتح) تعليقاً، ووصله (٨ / ٥٦ ـ ٥٧ ـ فتح) .

(٥) صحيح بشواهده .

أخرجه : أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)؛ من طريق جعفر بن ميمون : حدثني أبو عثمان عنه به .

قال الترمذي : «حسن غريب» .

وجوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (١١ / ١٤٣) .

قلت : إسناده حسن ، رجاله ثقات ؛ غير جعفر بن ميمون ؛ فهو صدوق يخطىء . =

٢ ـ وقد ورد تفصيل لهذه الصفة حسب نوع الدعاء:

أ ـ ترفع يديك حذو المنكبين عند المسألة.

ب ـ تشير بأصبع واحدة عند الاستغفار.

ت ـ تمد يديك جميعاً عند الابتهال.

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال:

«المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة، والابتهال أن تمد يديك جميعاً»[١].

٣ ـ الدعاء بباطن الأكف:

وهي هيئة الطالب المتذلل الفقير المنتظر أن يعطى.

عن مالك بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا سألتم الله فسلوه بباطن أكفكم ولا تسألوه بظهورها»[٢].

= قال الذهبي في «العلو للعلي العظيم» (٥٢): «هٰذا حديث مشهور، رواه عن النبي أيضاً علي بن أبي طالب وابن عمر وأنس وغيرهم».

قلت: وهو بها صحيح.

حييّ: فعيل، من الحياء؛ أي: لا يترك العطاء.

صفراً: ليس فيها شيء، وهو مأخوذ من الصَّفير، وهو الصوت الخالي من الحروف.

(١) صحيح. أخرجه أبو داود (١٤٨٩ ـ ١٤٩١) مرفوعاً وموقوفاً.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٦) من طريق ضمضم عن شريح: ثنا أبو ظَبْيَة: أن أبا بَحْرِيَّة السكوني حدثه عن مالك بن يسار السكوني ثم العوفي به.

قلت: هٰذا إسناد حسن، رجاله ثقات؛ غير ضمضم، وهو ابن زرعة، وهو صدوق يهم، وأبو ظبية وثقه ابن معين وغيره، وروى عنه جماعة من الثقات.

وله شاهد من حديث أبي بكرة مرفوعاً به. =

٤ ـ وأما مسح الوجه بهما بعد الفراغ من الدعاء :

فبدعة ضلالة كما سيأتي بيانه (ص ٧٩ ـ ٨٠) .

* * * * *

= أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢ / ٢٢٤) من طريق أبي جعفر الأخرم : ثنا عمار بن خالد : ثنا القاسم بن مالك المزني عن خالد الحذاء عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه .

قلت : وإسناده صحيح ، رجاله ثقات .

وبالجملة ؛ فالحديث صحيح ، والله أعلى وأعلم .

شروط الدعوات المستجابة

١ ـ الإخلاص:

ودلائله في الكتاب العزيز أكثر من أن تحصى، وأشهر من أن تنسى، وإن كان ولا بد من ذكر بعضها فقول الله تعالى:

﴿**وما أُمِروا إلاَّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لهُ الدين**﴾ [البينة: ٥].

والدعاء هو العبادة؛ فالإخلاص شرط في قبولها.

واعلم أيها العبد المخلص، أن إخلاص الدعاء هو خلوصه وتصفيته من الآفات والوساوس، فلا يشوبه شيء من المعاني سوى التقرب إلى الله، فيبرأ من تصنع لمخلوق، أو اكتساب مَحْمَدَةٍ عند الخلق أو محبة مدح.

ألا ترى إلى قول الشيطان كماك أخبر عنه الرحمن:

﴿**فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِينَّهُم أجْمعينَ إلاَّ عِبادَكَ مِنْهُم المُخلَصين**﴾ [ص: ٨٣].

فلو لم يرغب في الإخلاص إلا ليخرج من غوائل إبليس لكفى[1].

٢ ـ عدم الاستعجال:

الإنسان عجول، والعجلة تهب ريثاً؛ حيث تبعث اليأس والقنوط في نفس العَجِل فيستبطىء استجابة الله له فيترك الدعاء ويصرف وجهه عن باب خير.

ولذلك كان الاستعجال محبط للدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله، عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) وانظر غير مأمور كتابي «مقامع الشيطان» (ص ٢٩ ـ ٣١)، نشر دار ابن الجوزي، الدمام.

«لايزال يستجابُ للعبدِ ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قَطيعةِ رَحِمٍ ما لم يستعجل».

قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟

قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب لي فيستحسر[1] عند ذلك ويَدَعْ الدُّعاء»[2].

فينبغي على العبد إدامة الدعاء والإكثار منه، ولا يستبطىء الإجابة فقد تكفل الله بها، ولكن لكل شيء أجلاً، والدعاء لا يغلب ما سبق من المعلوم.

وعليه أن يتذكر أن الاستعجال لا يترك إلا حسرة آجلاً وعاجلاً، فأما الآجل فإنه يمنع الاستجابة فلا يرَ العبد ما طلبه محققاً فتبقى رَغبَته مكبوتة في نفسه، يجْتَرُّ الحسرات، ويكتال الزفرات، وأما العاجل فإن وضع حدٌّ للانتظار يعظم الشوق في تحقيق الرغبة، فإن تجاوز ذلك حدث إحباط في نفس الإنسان وهذه حسرة ما بعدها حسرة، لأنه قد ييئس ويقطع الأمل ويغلق باب الرجاء، وفي هذا المعنى يقول:

كفى حزناً أني أنا أناديك دائباً ... كأني بعيداً أو كأنك غائب

وعليه أن يتلو دائماً قوله ﷺ:

«يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل فيقول: دعوت ربي فلم يستجب لي»[3].

واعلم أن الاستعجال لا يعني الدعاء بتعجيل الاستجابة، فقد صح مثل ذلك عن رسول الله ﷺ في الاستسقاء، ويوم بدر وغيرهما، بل هو الانقطاع عن

---

(١) أي: ينقطع، ومنه قوله تعالى: ﴿**لا يَسْتَكْبِرون عن عبادتِه ولا يستَحْسِرون**﴾ [الأنبياء: ١٩].

(٢) أخرجه مسلم (١٧ / ٥٢ - نووي).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٣٤٠)، مسلم (١٧ / ٥١ - نووي).

الدعاء لأنك تستبطىء الإجابة.

٣ ـ الدعاء بالخير:

من عجلة الإنسان دعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله أو أهله بالشر، كالموت أو الهلاك أو اللعنة والدمار، ونحو ذلك ما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَيَدْعُ الإِنسانُ بالشِّرِ دُعاءَهُ بالخَيرِ وكانَ الإِنسانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١].

فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك، لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك، بل ذلك من صوارف الإجابة، كما قال تعالى:

﴿ولَـوْ يُعَجِّلُ اللهُ للنَّاسِ الشَّرَّ استعْجالَهُم بالخيرِ لقُضِيَ إليهم أجَلُهُم فَنَذَرُ الَّذينَ لا يَرجُونَ لقاءَنا في طُغيانِهم يَعْمَهُون﴾ [يونس: ١١].

هكذا يذم الله جل جلاله خلق ذميم هو في بعض الناس، يدعون الخير فيريدون تعجيل الإجابة ثم يحملهم أحياناً سوء الخلق على الدعاء بالشر، فلو عُجِّل لهم لهلكوا، ولكن الله لطيف بعباده خبير بنفوسهم حيث أخبر عن حلمه وأنـه لا يستجيب لهم إذا دعـوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حالة ضجرهم أو غضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم، والحالة هذه لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم وأهليهم وأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء والصلاح.

وبهذا يتبين لنا مرة أخرى أن العجلة والاستعجال آفة عظيمة حيث قادت إلى الدعاء بالشر.

ولذلك فاعلم أيها العبد أن الدعاء بالشر غير مستجاب، لطفاً ورحمة من

العزيز الوهاب.

قال ﷺ: «لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»[1].

ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك خشية أن يوافق ساعة إجابة لقوله ﷺ:

«لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل الله فيها عطاء فيستجيب لكم»[2].

٤ ـ اليقين وحضور القلب:

اعلم يا من وفقه الله للدعاء وألهمه السداد في القول أن غاية الدعاء حضور القلب واستجماع الفكر، ولذلك لا يليق بك وأنت العبد الذليل أن تخاطب مولاك الجليل بكلام لا تعيه أو أدعية عفوية جريت على تكرارها دون فهم أو إدراك لمعانيها، فينبغي أن يكون قلبك واعياً لدعائك، وفكرك حاضراً عند طلبك؛ لأن ذلك يورث اليقين، وأدعى للعزم في المسألة، ومفتاح للإكثار والإلحاح اللذين يحبهما الله.

قال ﷺ: «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[3].

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢١).

(٢) صحيح، وقد خرَّجته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (١٢٢١ / ٩٥٨، ١٢٢٢ / ٩٥٩).

(٣) حسن بشواهده. أخرجه: الترمذي (٣٥٤٥)، والحاكم (١ / ٤٩٣)؛ من طريق صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة به.

قال الترمذي: «حديث غريب، لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه».

قال الحاكم: «حديث مستقيم الإسناد، تفرَّد به صالح المري، وهو أحد زهَّاد أهل البصرة».

وتعقَّبه المنذري والذهبي بأن صالحاً متروك.

قلت: لم يتَّفق الأئمة على تضعيفه؛ فقد وثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان، فمثله يضعَّف =

وذلك لأن الغفلة شرود القلب، ومن صرف قلبه عن المعبود الحق فلا ينتظر استجابة، لأن الله وكله لمن صرف قلبه إليه، وتوجه فكره تلقاءه.

٥ ـ إطابة المأكل:

اعلم أيها العبد المتضرع في رحاب العبودية، الخاضع للبارىء بخشوع أن الدعاء مفتاح الحاجة، ولُقَم الحلال أسنانه، وأن الدعوة تحبس عن باب الله بسوء الطُعمة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿**يا أيُّها الرُّسلُ كُلوا مِن الطِّيِّباتِ واعملوا صالحاً إنِّي بما تعْمَلونَ عليم**﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمنوا كُلوا مِن طيِّبات ما رَزَقْنَاكُم**﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء[1] يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى ستجاب لذلك»[2].

فقد ذكر رسول الله ﷺ من موجات الإجابة ما هو حقيق بذلك، ولكنه حال بين ذلك المال الحرام والمأكل الحرام والملبس الحرام والمشرب الحرام

= حديثه، لكن يعتبر به.

وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو، أخرجه أحمد (٢ / ١٧٧)، وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

وبالجملة؛ فالحديث حسن بشواهده.

(١) فيه دليل على رفع اليدين في الدعاء، وانظر: «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ١٦٢ ـ ١٦٣) بقلمي.

(٢) أخرجه مسلم (٧ / ١٠٠ ـ نووي).

والطعام الحرام فمن أين يستجاب لمن هذه صفته، وكيف يستجاب لمن هذه حاله؟

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

«وأما ما يمنع إجابة الدعاء، فقد أشار إلى أنه التوسع في الحرام أكلاً وشرباً ولبساً وتغذية... فأكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لإجابة الدعاء...».

وقوله ﷺ: «فأنى يُستجاب لذلك» معناه: كيف يستجاب؟ فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد، وليس صريحاً في استحالة الاستجابة ومنعها بالكلية، فيؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة»[1].

* * * * *

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ١٦٤ ـ بقلمي).

آداب الدعوات المستجابة

اعلموا يا أحبائي أرشدكم الله أن للدعوة المستجابة آداباً مشروعة فمن وَفّىٰ وُفِّيَ له، ومن لزم تلك السيرة أوشك نيل ما سأل، وبلوغ ما طلب، ومن أخل بالأدب فلا يلومن إلا نفسه.

ودونك إياها حرفاً حرفاً:

١ ـ الثناء على الله قبل الدعاء بما هو أهله.

اعلم أيها العبد أن سيرة الأنبياء والمرسلين والصالحين إن أرادوا نيل حاجة عند مولاهم الحق أن يبادروا قبل السؤال فيقوموا بين يدي ربهم، فيرفعوا أيديهم، ويرسلوا دموعهم فيبدؤوا بالتوبة من ذنوبهم، والتنصل من مخالفاتهم، ويستبطئوا الخشوع في قلوبهم، ويستيقنوا بين يدي مَن وقفوا، فإذا تعرضت لمناجات محبوبك بصدق ومعبودك بحق فكن خاشعاً متضرعاً، وابدأ بالثناء عليه بما هو أهله، وتقديسه، وتنزيهه، وتعظيمه، ثم سل تجب بإذن الله سبحانه.

وانظر إلى إبراهيم الخليل ﷺ لما أراد مناجاة مولاه في نيل حوائجه، واستدرار ما في خزائنه، بدأ بالثناء على ربِّه قبل طلبه، فقال فيما أخبر عن مَن أدَّبَه:

﴿**الَّذي خَلَقَنِي فهو يهدين . والَّذي هُوَ يُطْعِمُني ويَسقِين . وإذا مَرِضْتُ فهُوَ يَشفينَ . والَّذي يُميتُني ثُمَّ يُحْيينِ . والَّذي أطمعُ أنْ يَغْفِرَ لي خطيئَتي يومَ الدِّينِ . ربِّ هبْ لِي حُكماً وألْحِقْني بالصَّالِحينَ . واجْعَلْ لِي لسانَ صِدْقٍ في الآخِرينَ . واجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعيمِ . واغْفِرْ لأبي إنَّهُ كانَ في الضَّالِينَ . ولا تُخْزِني يَومَ يُبْعَثُونَ**﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٧].

فانظر رحمك الله فقد أثنى على الله بما هو أهله، وتأدب مع ربه حيث

وصف الله بالكمال بينما الأمر الذي في ظاهره نقص وضعف كالمرض نسبه لنفسه ـ وهو من عند الله ـ وهذا غاية الأدب عند الرغبة والطلب[1]، فقضى الله حوائجه فقال في شطر الأولى :

---

(١) وهٰذا الحال عندنا معشر أتباع السلف أهل السنة والجماعة والحديث عقيدة ؛ فقد نقل ذٰلك الصابوني رحمه الله في رسالته الموسومة بـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (١ / ١٢٦ ـ منيرية) :

«ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله، وبقضائه لا يضاف إلى الله ما يتوهَّم منه نقص على الانفراد، فلا يقال : يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان، وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذٰلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح :

«تباركت وتعاليت، والخير بين يديك، والشر ليس إليك»[1].

ومعنـاه ـ والله أعلم ـ: «والشر ليس مما يُضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يُقال ذٰلك في المناداة، يا خالق الشر، أو يا مقدر الشر، وإن كان هو الخالق والمقدِّر لهما جميعاً ؛ لذٰلك أضاف الخضر عليه السلام إرادة العيب إلى نفسه، فقال فيما أخبر الله عنه في قوله :

﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلونَ في البَحْرِ فأَرَدْتُ أَنْ أَعيبَها**﴾ [الكهف : ٧٩].

ولما ذكر الخير والبر والرحمة ؛ أضاف إرادتها إلى الله عزَّ وجل، فقال :

﴿**فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما ويَسْتَخْرِجا كَنْزَهُما رَحْمَةً مِن رَبِّكَ**﴾ [الكهف : ٨٢].

ولذٰلك قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام : أنه قال : ﴿**وإذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء : ٨٠].

فأضاف الرضى إلى نفسه، والشفاء إلى ربه، وإن كان الجميع منه[2]» أ. هـ.

---

(١) وهو حديث صحيح.

(٢) ودليل ذٰلك قول الخضر عليه الصلاة والسلام لموسى ﷺ فيما أخبر عنه ربهما في قوله : ﴿**وما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف : ٨٢].

فات الصابوني رحمه الله موقف أشف ونكتة ألطف في هٰذا المقام ؛ فإن الخضر عليه الصلاة والسلام لما قتل الغلام نسب القتل إلى نفسه، والخير المترتِّب عليه لربه، ففرق بين الفعل ونتيجته، فالفعل في ظاهره شر ونتيجته ضر. =

﴿فَقَدَ آتَيْنَا آلَ إبراهيمَ الكتابَ والحكمةَ وآتيناهُمْ مُلكاً عَظيماً﴾ [النساء: ٥٤].

وفي شطرها الآخر:

﴿وإنّه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣٠].

وفي الثانية:

﴿وَتركْنا عليهِ في الآخِرينَ سلامٌ علىٰ إبراهيم﴾ [الصافات: ١٠٨ - ١٠٩].

وقال في الثالثة والأخيرة:

﴿رَحْمَتُ اللهِ وبركاتُه عليكُم أهلَ البيتِ إنَّه حميدٌ مجيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

واعتذر إليه في سؤاله المغفرة لأبيه بآية:

﴿وما كانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيهِ إلَّا عنْ مَوْعِدَةٍ وعَدَها إيَّاهُ فلمَّا تبيَّنَ لهُ أنَّهُ عدوٌّ للهِ تبرَّأَ منهُ إنّ إبراهيمَ لأواهٌ حليم﴾ [التوبة: ١١٤].

وكأني أنظر إلى خاتم النبيين ﷺ وهو واقف في المقام المحمود بين يدي الرب المعبود، فيلهمه محامدَ يحمده بها، فيحمده بتلك المحامد، فقدَّم بين يديّ الشفاعة الكبرى تحميداً وتمجيداً كما في حديث الشفاعة:

«. . . فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم النبيين، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا

= ﴿وأمَّا الغُلامُ فَكانَ أَبواهُ مُؤمِنَيْنِ فخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وكُفْراً . فأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وأَقْرَبَ رُحْماً﴾ [الكهف: ٨٠ - ٨١].

أي: فأردت أنا بالقتل، وأراد ربك بإبدالهما الشر بالخير، فنسب الأمر الذي ظاهره شر إلى نفسه، والخير والزكاة والرحمة إلى ربه، وبمثل هٰذا فليتأدَّب المتأدِّبون.

ترى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عَلَيَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي. ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشَفَّعْ، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب. فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم في الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس في سوى ذلك من الأبواب، ثم قال:

والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى»[1].

وقد علمنا رسولنا محمد ﷺ هذا الأدب، فعن فضالة بن عبيد قال:

بينا رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجل فصلى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله ﷺ:

«عجلت أيها المصلي؛ إذا صليت قعدت، فاحمد الله بما هو أهله وصل عليّ ثم ادعه».

قال ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ فقال له: «أيها المصلي ادع تجب»[2].

واعلم أن هذا المقام يحبه الله ولا ينبغي لأحد سواه، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

«ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش، وما أحد أحبُّ إليه المدح من الله»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦ / ٣٧١ و٣٩٥، ٨ / ٣٩٥، ١٣ / ٣٩٢ و٤٢٢ و٤٧٣ ـ فتح).

(٢) صحيح؛ كما بيَّنته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (١٩٣ / ١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٣ / ٣٨٣).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء... ومن تأمل الأدعية المذكورة في القرآن وجدها غالباً تفتتح باسم الرب، كقوله تعالى: ﴿**ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النَّار**﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿**ربَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسينا أو أخطأْنا ربَّنا ولا تَحْمِل علينا إصْراً كما حَمَلْتَهُ على الَّذين مِن قبلنا، ربَّنا ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقَةَ لنا بهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿**ربَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بعدَ إذْ هَدَيْتَنا**﴾ [آل عمران: ٨]، ومثل هذا في القرآن كثير»[1].

٢ ـ الصلاة على النبي ﷺ:

إذا سألت الله حاجةً فاستصحب معك الصلاة على النبي ﷺ بعد تمجيد الله والثناء عليه، ثم ادع بما شئت فإن الله بكرمه يقبل دعوتك ويجيب سؤلك.

ومن لم يفعل فقد قدم السؤال على الوسيلة فاستعجل فأنى يستجاب له.

عن فضالة بن عبيد قال:

سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ «عجل هذا».

ثم دعاه فقال له أو لغيره:

«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعدُ بما شاء»[2].

---

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ١٦٣) بقلمي.

(٢) صحيح، تقدَّم.

وقال ﷺ: «كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ»[1].

ولكن لا تعد شرطاً أساسياً وذلك لعدم التزام النبي ﷺ به، فقد صح عنه أدعية كثيرة غير مستصحبة بالصلاة عليه.

بل هو أدب مستحب استحباباً مؤكداً لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرة».

فقال إليه رجل فقال: يا رسول الله أجعل نصف دعائي لك فقال: «إن شئت».

قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك.

قال: «إن شئت».

قال: ألا أجعل دعائي لك كله.

قال: «إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة»[2].

٣ ـ الاعتراف بالذنب:

ومن آداب الدعاء وأنت تتبتل في محراب الرجاء وتتضرع إلى الله بكشف الكرب والغم والبلاء أن تقر بذنبك وتعترف بخطئك وتبك على خطيئتك، وهذا المقام من كمال العبودية.

ولك أسوة حسنة في الأبوين آدم وحواء حيث اعترفا بذنبهما قبل طلب المغفرة.

---

(١) حسن؛ كما في «صحيح الجامع الصغير» (٤٥٢٣).

(٢) حسن؛ كما بيَّنه شيخنا في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (١٣ و١٤).

﴿قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وتَرحَمْنا لنكونَنَّ مِنَ الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣].

وفي يونس عليه السلام حيث أخبر الله عنه:

﴿وذا النُّونِ إذْ ذهبَ مُغاضباً فظنَّ أنْ لنْ نَقْدِرَ عليهِ فنادىٰ في الظُّلُماتِ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ . فاسْتَجَبْنَا لَهُ ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وكذٰلكَ نُنْجِي المؤمنينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

فانظر رحمك الله كيف مَجَّد ربه وأثنى عليه بما هو أهله ونزهه، ثم اعترف بتقصيره، فاستجاب الله له، ونجاه من الغم، وكشف عنه الكرب.

وقد جاء هذا الأدب في حديث الإفك حيث قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها:

«أما بعد يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرِّؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه»(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعجب من العبد إذا قال: لا إله إلا أنت إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: عبدي عرف أن له رباً يغفر ويعاقب»(٢).

٤ ـ العزم في المسألة:

إذا سألت الله فاسأله بعزم وجد وحزم من غير ضعف في الطلب ولا تعليق

---

(١) أخرجه: البخاري (٧ / ٤٣٤ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ١١١ ـ نووي).

(٢) صحيح؛ كما بينه شيخنا في «الصحيحة» (١٦٥٣).

على مشيئة، فإنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله منزه عن ذلك، وفيه صورة المستغني عن ربه.

وأما العزم ففيه إحسان الظن بالله في الإجابة، لأن العبد إذا عظم رغبته دل على تعظيمه للمطلوب منه حيث يستقر في قلبه أنه لا يتعاظمه شيء.

ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فاعطني، فإنه لا مستكره له»[1].

وقال ﷺ: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له»[2].

٥ ـ الإكثار من الدعاء في الرخاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد؛ فليُكْثِرِ الدُّعاء في الرَّخاء»[3].

٦ ـ الدعاء ثلاثاً:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

. . . فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا

---

(١) أخرجه: البخاري (١١ / ١٣٩ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ٦ ـ نووي)؛ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: البخاري (١١ / ١٣٩ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ٦ ـ نووي)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه «الترمذي» (٢٣٨٢)، والطبراني في «الدعاء» (٤٤)، وحسنه شيخنا في «الصحيحة» (٥٩٣).

ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال:

«اللهم عليك بقريش ثلاث مرات».

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال:

«اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط».

وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر»[1].

وفيه استحباب تكرير الدعاء ثلاثاً لأنه يتضمن توكيد وحرص شديدين على حصول المطلوب.

٧ ـ الدعاء بجوامع الكلم:

يستحب للعبد أن يسأل الله بكلام مختصر مفيد، يدل على أكبر المعاني بأقل الألفاظ، والوصول إلى المطلوب بأقصر السبل وأوجزها.

وكان هذا هدي النبي ﷺ، فهو الذي أُوتِيَ جوامع الكلم واختصرت له الحكم وملك نواصي البيان، فكانت الألفاظ تنساب من شفتيه كالماء من في السقاء، فكأنما اختارها وانتقاها ونظمها سهلاً جزلاً يعيها من سمعها دون مشقة وعسر.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان ﷺ يستحب الجوامع في الدعاء ويدع ما سوى ذلك»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢ / ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ نووي).

(٢) صحيح كما بيَّنته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (١١٦٥ / ٩١٦).

ومما ينتظم هذا المعنى البعد عن السجع، فإنه من مكروهات الدعاء كما سيأتي بيانه[1]، واجتناب اللحن فإنه من بدع الدعاء كما سيأتي شرحه[2].

وتذكر أخي ـ أرشدك الله ـ وأنت تدعو الله أنك تناجي ربك، فاحرص على كلماتك التي تنطق بها.

ومن الأولى الالتزام بالمأثور في الدعاء؛ ففيه أمنة من الزَّلل، وابتعاد عن المزالق، فعض عليه بالنواجذ لأن خير الكلام ما قل ودل.

٨ ـ حسن الظن بالله:

وينبغي على الداعي أن يحسن الظن بربه وأن يتيقن من الإجابة عاجلاً أو آجلاً، فإن الله وعد عبده أن يستجيب دعاءه بأسلوب الشرط في قوله: ﴿**وقالَ ربُّكُمْ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم**﴾ [غافر: ٦٠]، وهو كذلك قريب مجيب: ﴿**فاستغفِرُوهُ ثُمَّ تُوبوا إليهِ إنَّ ربِّي قريبٌ مجيب**﴾ [هود: ٦١].

ولذلك فعلى العبد أن يقوي رجاءه في مولاه، ولا يقنط من رحمة الله، وإن تأخرت الإجابة، فلا تستبطىء ما سألت، فإن لكل شيء أجلاً، ولكل أجل كتاباً، والدعاء لا يغلب ما سبق في المعلوم.

ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن نسلم أمر الإجابة لله، ونتيقن بحصول المأمول.

قال رسول الله ﷺ: «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة»[3].

فإن كان ظنك بالله حسناً ومتيقناً أن الله لا يضيع رجاءك، كان عند ظنك به، لأن جزاء الإحسان الإحسان، وإن كنت متردداً شاكاً فالجزاء من جنس

---

(١) انظره (ص ٧٤).

(٢) انظره (ص ٨٢ ـ ٨٣).

(٣) مضى (ص ٢٣).

العمل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[1].

واعلم يا عبد الله أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه، ورحم الله ابن قيم الجوزية الذي حرر هذه المسألة فقال:

. . . ومن تأمل هذا الوضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه، فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه أن يجازيه على أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه، فالذي حمله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه حسن عمله وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز.

وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن، فإن قيل: بل يتأتى ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة، ولا يضره العفو.

قيل: الأمر هكذا والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحم، ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة، فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه فما

---

(١) أخرجه: البخاري (١٣ / ٣٨٤ - فتح)، ومسلم (١٧ - ٢ - ٣ - نووي).

ينفع المجرم أسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرض للعنته، وأوقع في محارمه، وانتهك حرماته، بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن، فهذا حسن الظن، والأول غرور، والله المستعان. ولا تستطيل هذا الفصل فإن الحاجة إليه شديدة لكل أحد، ففرق بين حسن الظن بالله وبين العزة، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذينَ آمنوا والَّذينَ هاجَرُوا وجَاهَدُوا في سبيلِ اللهِ أولٰئكَ يَرْجُونَ رحمةَ اللهِ﴾** [البقرة: ٢١٨]، فجعل هؤلاء أهل الرجاء لا الظالمين والفاسقين.

وقال تعالى: **﴿ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للَّذينَ هاجَرُوا مِن بعدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وصَبَرُوا إنَّ ربَّكَ مِن بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحيم﴾** [النحل: ١١٠].

فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها، فالعالم يضع الرجاء مواضعه، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه»[1].

ثم قال:

«وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور:

وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور.

وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطاً فهو المغرور.

ولو رجلاً كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يبذرها ولم يحرثها، وأحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من غير حرث

---

(١) «الجواب الكافي» (ص ١٤ ـ ١٥).

وبذر وسقي وتعاهد الأرض، لعده الناس من أسفه السفهاء.

وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاءه بأنه يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام عليه، وأمثال ذلك.

فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وبالله التوفيق.

وقد قال الله تعالى: ﴿**إنَّ الَّذين آمنوا والَّذينَ هاجَرُوا وجاهَدُوا في سبيلِ اللهِ أولٰئكَ يَرجُونَ رحمةَ الله**﴾ [البقرة: ٢١٨].

فتأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات.

وقال المغترون: إن المفرطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لأوامره الباغين على عباده المتجرئين على محارمه أولئك يرجون رحمته.

وسر المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها ويجعلها موصله إلى ما ينفعه ويصرف ما يعرضها ويبطل أثرها» أ. هـ[1].

٩ ـ الرهبة والرغبة:

واعلم أيها المسلم أن من آداب الدعاء أن تكون راغباً راهباً متذللاً خاشعاً، قال الله سبحانه: ﴿**إنَّهُم كانُوا يُسارِعونَ في الخَيراتِ ويَدعُونَنا رَغَباً ورَهَباً وكانُوا لنا خاشعين**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُم خوفاً وطَمَعاً**﴾ [السجدة: ١٦].

(١) «الجواب الكافي» (ص ٢٤).

١٠ ـ إخفاؤه سراً:

ومن آدابه: إخفاؤه سراً، فلا يسمعه غير من يناجيه، فالله يعلم القلب التقي، ويسمع الصوت الخفي.

قال الله سبحانه: ﴿**ٱدْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعَاً وخُفْيَة**﴾ [الأعراف: ٥٥].

وذكره سبحانه عبداً صالحاً ورضي قوله فقال:

﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِّيا إذْ نادىٰ رَبَّهُ نِداءً خَفِيَّاً**﴾ [مريم: ٢].

فكان حقيقاً بالإجابة إذ وهب له يحيى وأصلح له زوجه.

وفي الدعاء الخفيّ لطائف وأسرار وفوائد ذكر فيضاً منها شيخُ الإسلام وشامة الشام ابن تيمية رحمه الله، فقال:

«**أحدها**: أنه أعظم إيماناً؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم، ومَن رفع صوته لديهم مَقَتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمعُ الدعاءَ الخفيَّ؛ فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

وثالثها: أنه أبلغ في التضرُّع والخشوع، الذي هو روح الدعاء ولبُّه ومقصوده، فإن الخاشع الذَّليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلَّت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه لَيكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق، وقلبُه يسأل طالباً مبتهلاً، ولسانه لشدة ذلته ساكتاً، وهٰذه الحال لا تأتي مع رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلَّة في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرِّقه، فكلما خفض صوته؛ كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعوِّ سبحانه.

وسادسها: وهو من النكت البديعة جدّاً: أنه دالٌّ على قرب صاحبه للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهٰذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عزَّ وجلَّ:

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِداءً خَفِيّاً﴾ [مريم: ٣].

فلما استحضرَ القلبُ قربَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وأنه أقرب إليه من كل قريب؛ أخفى دعاءه ما أمكنه.

وقد قال تعالى:

﴿وإذا سَأَلَكَ عِبادي عَنِّي فإنِّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهٰذا القرب من الدَّاعي هو قربٌ خاصٌّ، ليس قرباً عامّاً من كل أحد، فهو قريب من داعيه، وقريبٌ من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد.

وقوله تعالى: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾** [الأعراف: ٥٥] فيه الإرشاد والإعلام بهٰذا القرب.

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإنَّ اللسان لا يملُّ، والجوارح لا تتعب؛ بخلاف ما إذا رفع صوته؛ فإنه قد يملُّ اللسان، وتضعف قواه. وهذا نظير من يقرأ ويكرر، فإذا رفع صوته، فإنه لا يطول له.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد اه من القواطع والمشوِّشات؛ فإن الداعي

إذا أخفى دعاءه؛ لم يدر به أحد، فلا يحصل على هٰذا تشويش ولا غيره، وإذا جهر به؛ فرطت له الأرواح البشرية ولا بد، ومانعته، وعارضته، ولو لم يكن إلا تعلقها به يفزع عليه همته، فيضعف أثر الدعاء، ومَن له تجربة؛ يعرف هٰذا[1]، فإذا أسرَّ الدعاء؛ أمن هٰذه المفسدة.

وتاسعها: أن أعظم النعمة الإقبال والتعبُّد، ولكل نعمة حاسد على قدرها؛ دقَّت أو جلَّت، ولا نعمة أعظم من هٰذه النعمة، فإن أنفُس الحاسدين متعلِّقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام:

﴿**لا تَقْصُصْ رُؤياكَ على إخْوَتِكَ فَيَكيدوا لَكَ كَيْداً**﴾ الآية [يوسف: ٥].

وكم من صاحب قلبٍ وجمعية وحال مع الله تعالى قد تحدَّث بها، وأخبر بها، فسلبه إياها الأغيار، ولهٰذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله تعالى، ولا يُطلِع عليه أحد.

والقوم أعظم شيئاً كتماناً لأحوالهم مع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وما وهب الله من محبته والأنس به وجمعية القلب، ولا سيما فعله للمهتدي السالك، فإذا تمكَّن أحدهم وقوي، وثبَّت أصول تلك الشجرة الطيِّبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه بحيث لا يخشى عليه من العواصف؛ فإنه إذا أبدى حاله مع الله تعالى؛ ليقتدى به ويؤتَمَّ به، لم يبال.

وهٰذا باب عظيم النفع، إنما يعرفه أهله[2].

---

(١) وليس مراده أن الدين مرتع للتجارب، بل هو شرح للواقع، حيث يجد العبد المتَّبع صدق الشرع، فيتذوَّق حلاوة الإيمان؛ كما بسطته في رسالتي «حلاوة الإيمان»، نشر دار ابن الجوزي.

(٢) هٰذا من باب إخفاء العمل الذي نهجه الصالحون خشية الوقوع في هاوية الرياء، وقد بسطته في رسالتي الموسومة بـ «الرياء: ذمه وأثره السيىء في الأمة»، نشر دار ابن الجوزي، الدمام.

وإذا كان الـدعـاء المأمور بإخفائه يتضمَّن دعاء الطلب والثناء والمحبَّة والإقبال على الله تعالى؛ فهو من عظيم الكنوز التي هي أحق بالإخفاء على أعين الحاسدين.

وهٰذه فائدة شريفة نافعة.

وعاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعوِّ سبحانه وتعالى، متضمِّن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سُمِّيَ دعاء لتضمُّنه للطلب؛ كما قال النبي ﷺ:

«أفضل الدعاء الحمد لله»[1].

فسمَّى الحمـد لله دعاءً، وهو ثناء محض؛ لأنَّ الحمد متضمِّن الحبَّ والثَّناء، والحبُّ أعلى أنواع الطَّلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحقُّ أن يسمَّى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمِّن لأعظم الطلب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمَّى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه.

والمقصود: أن كل واحد من الدُّعاء والذكر يتضمَّن الآخر، ويدخل فيه، وقد قال تعالى:

﴿واذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فأمر تعالى نبيَّه ﷺ أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد وابن جريج:

«أمروا أن يذكروه في الصدور بالتضرُّع والاستكانة؛ دون رفع الصوت

---

(١) صحيح. أخرجه: الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وغيرهم؛ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

والصياح».

وتأمَّل كيف قال في آية الذكر: ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ...﴾ الآية، وفي آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾.

فذكر التضرُّع فيهما معاً، وهوِ التذلُّل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء.

وخصَّ الدعاء بالخفية؛ لما ذكرنا من الحكم وغيرها.

وخصَّ الذِّكر بالخيفة؛ لحاجة الذاكر إلى الخوف؛ فإن الذكر يستلزم المحبَّة ويثمِّرها، ولا بدَّ لمن أكثر من ذكر اللهِ أن يثمر له ذٰلك محبَّته، والمحبة ما لم تقترن بالخوف؛ فإنها لا تنفع صاحبها، بل تضرُّه؛ لأنها توجب التواني والانبساط، وربما آلت بكثير من الجهَّال المغرورين إلى أن استغنوا بها عن الواجبات، وقالوا: المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب، وإقباله على الله، ومحبته له، فإذا حصل المقصود؛ فالاشتغال بالوسيلة باطل.

ولقد حدَّثني رجل أنه أنكر على بعض هٰؤلاء خلوة له ترك فيها الجمعة، فقال له الشيخ: أليس الفقهاء يقولون: إذا خاف على شيء من ماله؛ فإن الجمعة تسقط؟ فقال له: بلى. فقال له: فقلب المريد أعزُّ عليه من عشرة دراهم ـ أو كما قال ـ، وهو إذا خرج؛ ضاع قلبه، فحِفْظُه لقلبه عذرٌ مسقِطٌ للجمعة في حقه!! فقال له: هٰذا غرور بك، الواجب الخروج إلى أمر الله عزَّ وجلَّ.

فتأمَّل هٰذا الغرور العظيم؛ كيف أدَّى إلى الانسلاخ عن الإسلام جملة؟!

فإنَّ مَن سَلَكَ هٰذا المسلك؛ انسلخ عن الإسلام العام؛ كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظنُّ أنه من خاصة الخاصة!!

وسبب هٰذا عدم اقتران الخوف من الله بحبِّه وإرادته.

ولهٰذا قال بعض السلف: مَن عبدَ الله بالحب وحده؛ فهو زنديق، ومَن عبده بالخوف وحده؛ فهو حروري، ومَن عبده بالرجاء وحده؛ فهو مرجىء، ومَن عبده بالحب والخوف والرجاء؛ فهو مؤمن.

والمقصود أن تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هٰذه المعاطب، فإذا اقترن بالخوف؛ جمعه على الطريق، وردَّه إليها، كلَّما كَلَّها شيء؛ كالخائف الذي معه سوط يضرِب به مطيَّتَه؛ لئلا تخرج عن الطريق.

والرجاء حادٍ يحدوها، يطلب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذي يشوقها، فإذا لم يكن للمطيَّة سوط ولا عصى يردُّها إذا حادت عن الطريق؛ خرجت عن الطريق، وضلَّت عنها.

فما حُفِظَت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبَّته، فمتى خلا القلب من هٰذه الثلاث؛ فسد فساداً لا يُرجى صلاحه أبداً، ومتى ضعُف فيه شيء من هٰذه؛ ضعف إيمانه بحسبه.

فتأمل أسرار القرآن وحكمته في اقتران الخيفة بالذكر، والخفية بالدعاء، مع دلالته على اقتران الخيفة بالدعاء والخفية بالذكر أيضاً.

وذكَرَ الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبنيٌّ عليه؛ فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه؛ لم تتحرَّك نفسه لطلبه؛ إذ طلبُ ما لا طَمَعَ له فيه ممتنعٌ.

وذكرَ الخوف في آية الذكر؛ لشدَّة حاجة الخائف إليه.

فذكرَ في كل آية ما هو اللائق بها من الخوف والطمع، فتبارك من أنزلِ كلامه شفاء لما في الصدور» أ. هـ[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥ / ١٥ - ٢٢) باختصار.

ووجه النبي الكريم ﷺ أمته إلى هذه الحقائق وقد رآهم يصعدون في ثنية، فجعل رجل كلما علا ثنية؛ رفع صوته بالذكر والدعاء، فقال:

«يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»[1].

١١ ـ الدعاء بالأسماء الحسنى:

وهذا ذكره الله في كتابه فقال سبحانه:

﴿**قُلِ ٱدْعُوا اللهَ أَوِ ٱدْعُوا الرَّحمٰنَ أيّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الأسماءُ الحُسنىٰ**﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال: ﴿**ولِلَّهِ الأسماءُ الحُسنىٰ فادْعُوهُ بها**﴾[الأعراف: ١٨٠].

١٢ ـ الداعي يبدأ بنفسه:

وهو كما جاء في كتاب الله خبراً عن عباده المؤمنين: ﴿**ربَّنا اغْفِر لَنا ولإخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمان**﴾ [الحشر: ١٠].

وقوله: ﴿**قالَ ربِّ اغْفِرْ لي ولأخي وأدْخِلنَا برَحْمَتِكَ**﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقوله: ﴿**ربَّنا ٱغْفِر لي ولِوالِدَيَّ وللمؤمنينَ يومَ يقومُ الحساب**﴾ [إبراهيم: ٤١].

وهكذا كان ديدن المؤمنين يسألون الله الخير للمؤمنين كما يسألون لأنفسهم لينالهم نصيب من الخير ولكنهم يبدؤون بأنفسهم:

قال تعالى: ﴿**وٱستَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وللمؤمنينَ والمؤمِنات**﴾ [محمد: ١٩].

---

(١) أخرجه: البخاري (١١ / ٥٠٠ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ٢٥ ـ ٢٦ ـ نووي).

فأمره أن يبدأ بنفسه وهو هدي محمد ﷺ، فعن ابن عباس عن أُبَي بن كعب أن رسول الله ﷺ: «كان إذا ذكر أحداً فدعا له، بدأ بنفسه»[1].

ويجوز تخصيص المؤمنين بالدعاء دون النفس لثبوته عن النبي ﷺ، وقد عقد الإمام البخاري لذلك باباً في كتاب الدعوات في «صحيحه» (١١ / ١٣٥ - ١٣٦ - فتح).

١٣ ـ السؤال الكثير:

وإذا سألت يا عبد الله فاسأل كثيراً، فإن الله لا يتعاظم عليه شيء، فإن ظننت إن أكثرت فإن الله أكثر، وهذا دليل على تعظيمك لله، ومثال ذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ أن بعض المخلوقين سأل حاجة؛ فقال السائل: أتيتكم في حاجة وهي صغيرة، فغضب المسؤول، وقال: اطلب لها رجلاً صغيراً[2].

١٤ ـ التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والاغبرار:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

«وهو من المقتضيات لإجابة الدعاء، كما في الحديث المشهور عن النبي ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»[3].

«ولما خرج النبي ﷺ للاستسقاء خرج متبذلاً متواضعاً متضرعاً»[4].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٤٤٥ ـ تحفة).

قلت: وهو صحيح.

(٢) انظر: «الدعاء المأثور وآدابه» للطرطوشي (ص ٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٢ و٢٨٤٦).

(٤) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ١٦٤ ـ بقلمي).

١٥ ـ تحري أوقات الإجابة وحالاتها:

اعلم أيها العبد المخبت لله؛ أن لله نفحات، فمن كمال الأدب مع الله أن تتحراها، فإن الدعاء فيها مستجاب كما أخبر رسول الله ﷺ، ولذلك رأيت أن أفرد لهما بابين:

الأول: في أوقات الإجابة.

والآخر: في حالات يستجاب فيها الدعاء.

وهما بغيتي من هٰذا الكتاب ونكته.

* * * * *

أوقات الإجابة

١ ـ الدعاء في جوف الليل الآخر:

حيث السكون والهدوء والناس نائمون إلا عين باتت تطلع إلى السماء وتتفكر في خلق السموات والأرض، فيتعاظم الخالق في ذلك القلب، وتشتد الحاجة إلى رحمة الله، فيمد يديه مناجياً ربه أن ينجيه برحمته ويتغمده بمغفرته.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المستغفرين بالأسحار فقال:

﴿كانوا قليلاً مِنَ اللَّيلِ ما يهجعُونَ وبالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون﴾ [الذاريات: ١٦ ـ ١٧].

فهم الأيقاظ في جنح الليل الذي يلف الناس من حولهم فإذا هم نائمون، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام لا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً، فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ليأنسوا بربهم وهو ينزل في ثلث الليل الآخر ليفتح للداعين أبواب الإجابة، وللسائلين خزائن السماوات والأرض، وللمستغفرين سابغ رحمته، وللتائبين باب التوبة على مصراعيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[1].

---

(١) أخرجه: البخاري (٣ / ٢٩، ١١ / ١٢٨ ـ ١٢٩، ١٣ / ٤٦٤ ـ فتح)، ومسلم (٦ / ٣٦ ـ نووي).

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن»[1].

والليل كله مظنة الإجابة، فيستحب الدعاء في جميع ساعات الليل كله، رجاء أن يصادف ساعة الإجابة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه، وذلك كل ليلة»[2].

لكن جوف الليل الآخر، الدعاء فيه أفضل وأرضى.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟

قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»[3].

= وأحاديث النزول متواترة؛ كما بينتها في كتابي «الأدلَّة والشواهد» (ص ١٠١ ـ ١٠٢)، وذكرت من صرح بذلك من أئمة الصنعة.

وانظر شرحها في «شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(١) أخرجه: الترمذي (٣٥٦٠ ـ تحفة)، والنسائي (١ / ١٧٩)، والحاكم (١ / ٣٠٩)؛ من طرق عن معاوية بن صالح؛ قال: أخبرني أبو يحيى سليم بن عامر وضمرة بن حبيب وأبو طلحة نعيم بن زياد؛ قال: سمعنا أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت عمرو بن عبسة؛ يقول: (وذكره).

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالوا.

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٧).

(٣) حسن بشواهده؛ كما بينته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (١٧٦ / ١٤٢).

ولذلك قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله:

«والذي يختم به الباب، أنه ليس بفقيه من كانت له إلى الله حاجة ثم نام عنها في الأسحار»[1].

٢ ـ يوم الجمعة:

كان من هدي رسول الله ﷺ تعظيم يوم الجمعة وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها على غيره لأنه فيه خصائص ليست في غيره، منها:

أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل الله عبد مسلم فيها شيئاً إلا أعطاه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال:

«فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يُقَلِّلُها»[2].

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال النبي ﷺ:

«إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفَّى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»[3].

---

(١) «الدعاء المأثور وآدابه» (ص ٦٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٢ / ٤١٥ ـ فتح)، ومسلم (٨٥٢).

(٣) أخرجه: ابن ماجه (١٠٨٤)، وأحمد (٤ / ٤٣٠)؛ من طريق زهير بن محمد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن عبدالرحمٰن بن يزيد الأنصاري عنه به.

قلت: إسناده حسن.

وقد تنافس العلماء في هذه الساعة، واختلفوا في مسائل تتعلق بها:

الأولى: في تعيينها.

الثانية: هل هي باقية أو قد رفعت؟

الثالثة: هل هي تتنقل في ساعات اليوم أو لا؟

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

«والذين قالوا بتعيينها اختلفوا على أحد عشر قولاً (وذكرها)[1]. ثم قال:

«وأرجح هذه الأقوال: قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة، وأحدهما أرجح من الآخر.

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحجة هذا القول ما روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي بردة بن أبي موسى أن عبد الله بن عمر قال له: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة شيئاً؟ قال: نعم سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»[2].

والقول الثاني: أنها بعد العصر، وهو أرجح القولين، وهو قول عبد الله ابن سلام، وأبي هريرة، والإمام أحمد، وخلق.

وحجة هذا القول ما رواه أحمد في «مسنده» من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه

---

(١) وهناك أقوال أخرى كثيرة، استقصاها في «فتح الباري» (٢ / ٤١٥ ـ ٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٣).

إيّاه، وهي بعد العصر»[1].

وروى أبو داود والنسائي عن جابر عن النبي ﷺ قال:

«يوم الجمعة اثنا عشر ساعة فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[2].

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن: ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة في يوم الجمعة[3].

ثم قال: وهذا هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، ويليه القول: بأنها ساعة الصلاة، وبقية الأقوال لا دليل عليها.

وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضاً، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة خلال اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة، فتابعة للصلاة، تقدمت أو تأخرت، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها، ويكون النبي ﷺ قد حضَّ أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين» أ. هـ مختصراً[4].

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٢٧٢) بإسناد ضعيف، لكن يشهد له ما بعده.

(٢) أخرجه: أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (٣ / ٩٩ ـ ١٠٠)، والحاكم (١ / ٢٧٩)؛ من طريق ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث: أن الجلاح مولى عبدالعزيز حدثه: أن أبا سلمة بن عبدالرحمٰن عن جابر بن عبدالله به.

قلت: وهو صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢ / ٤٢١).

(٤) «زاد المعاد» (١ / ٣٨٨ ـ ٣٩٤).

قلت: والصواب ما رجحه ابن قيم الجوزية رحمه الله من أنها بعد العصر، لأمور منها:

١ ـ أن جماهير أهل العلم من السلف على ذلك كما قال أبو بكر الطرطوشي:

«معظم العلماء وأهل الأخبار أنها بعد العصر... وهذا القول في نفسي أقوى وإن كان القياس لا يدخل في شيء من ذلك»[1].

وأقره الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ورجحه كثير من الأئمة أيضاً، كأحمد وإسحاق، ومن المالكية الطرطوشي، وحكى العلائي أن شيخه ابن الزملكاني شيخ الشافعية في وقته كان يختاره ويحكيه عن نص الشافعي»[2].

٢ ـ صح اتفاق الصحابة أنها آخر ساعة في يوم الجمعة، فلا يجوز مخالفتهم[3].

٣ ـ أن حديث أبي موسى رضي الله عنه، أنها ساعة الصلاة ضعيف، وإن كان في صحيح مسلم ـ كما بينه الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وأجابوا عن كونه ليس في أحد الصحيحين أو أحدهما، إنما هو حيث لا يكون مما انتقده الحفاظ كحديث أبي موسى هذا فإنه أعل بالانقطاع والاضطراب: أما الانقطاع فلأن مخرمة بن بكير لم يسمع من أبيه، قاله أحمد عن حماد بن خالد عن مخرمة نفسه، وكذا قال سعيد بن أبي مريم عن موسى ابن سلمة عن مخرمة وزاد: إنما هي كتب كانت عندنا.

---

(١) «الدعاء المأثور وآدابه» (ص ٦١).

(٢) «فتح الباري» (٢ / ٤٢١).

(٣) كما نقله عنهم أبو سلمة بن عبد الرحمن، والإسناد إليه صحيح كما مضى (ص ٥٢)، وانظر: «سنن الترمذي» (٢ / ٣٦١).

وقال علي بن المديني: لم يسمع أحداً من أهل المدينة يقول عن مخرمة أنه قال في شيء من حديثه سمعت أبي، ولا يقال مسلم يكتفي في المعنعن بإمكان اللقاء مع المعاصرة، وهو كذلك هنا؛ لأنا نقول: وجود التصريح عن مخرمة بأنه لم يسمع من أبيه كاف في دعوى الانقطاع[1].

وأما الاضطراب[2]؛ فقد رواه أبو إسحاق وواصل الأحدب ومعاوية بن قرة وغيرهم عن أبي بردة من قوله، وهؤلاء من أهل الكوفة، وأبو بردة كوفي فهم أعلم بحديثه من بكير المدني، وهم عدد وهو واحد.

وأيضاً فلو كان عند أبي بردة مرفوعاً لم يفت فيه برأيه بخلاف المرفوع، ولهذا جزم الدارقطني[3] بأن الموقوف هو الصواب»[4] أ. هـ.

٤ ـ سائر الأحاديث في الباب تخالف حديث أبي بردة عن أبيه، وقد أشار الإمام أحمد إلى ذلك بقوله:

وأكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر، وترجى بعد زوال الشمس»[5].

ولـذلك ما ذهب إليه العلامة المحقق ابن قيم الجوزية من الجمع بين

---

(١) ويَرِد على هٰذه العلة أن رواية مخرمة عن أبيه وجادة من كتابه، وهي معتبرة.

(٢) يشترط في الاضطراب تكافؤ الطرق، وهنا الراجح المقطوع، فهو من باب الشذوذ، والله أعلم.

(٣) كما في «الإلزامات والتتبع» (ص ١٦٧).

(٤) «فتح الباري» (٢ / ٤٢١ ـ ٤٢٢).

قلت: وقد تبطن محقِّقا «شرح السُّنَّة» (٤ / ٢١٠) و«زاد المعاد» (١ / ٣٩٠) كلام الحافظ رحمه الله، ونسباه لنفسيهما! ومن المعلوم أن من بركة العلم عزوه إلى صاحبه، ولله در القائل:

ونُصَّ الحَديثَ إلى أهلِهِ ... فإنَّ الأمانَةَ في نَصِّهِ

(٥) نقله الترمذي في «سننه» (٢ / ٣٦١).

القـولين أولى في طريق الجمع[1]، لكن حديث أبي موسى لم يصح كما بينه الحافظ ابن حجر آنفاً.

قال ابن قيم الجوزية:

«وأما من قال بتنقلها، فرام الجمع بذلك بين الأحاديث، كما قيل ذلك في ليلة القـدر، وهـذا ليس بقوي[2]، فإن ليلة القدر قد قال فيها النبي ﷺ: «فالتمسوها في خامسة تبقى، في سابعة تبقى، في تاسعة تبقى»[3] ولم يجىء مثل ذلك في ساعة الجمعة.

وأيضاً فالأحاديث التي في ليلة القدر، ليس فيها حديث صريح بأنها ليلة كذا وكذا، بخلاف أحاديث ساعة الجمعة، فظهر الفرق بينهما.

وأمـا قول من قال: أنها رفعت، فهو نظير قول من قال: إن ليلة القدر رفعت، وهذا القائل: إن أراد أنها كانت معلومة، فرفع علمها عن الأمة، فيقال له: لم يرفع علمها عن كلِّ الأمة، وإن رفع عن بعضهم، وإن أراد أن حقيقتها وكونها ساعة إجابة رفعت، فقول باطل مخالف للأحاديث الصحيحة الصريحة، فلا يعول عليه، والله أعلم» أ. هـ[4].

٣ ـ الدعاء بين الأذان والإقامة:

الدعاء مستجاب بعد الأذان لما ثبت عن رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد الدعاء بين الأذان

---

(١) كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢ / ٤٢٢).

(٢) بل هو من أضعف الأقوال، كما أشار الطرطوشي في «الدعاء المأثور» (ص ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (١ / ١١٣، ٤ / ٢٦٧ ـ فتح) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) «زاد المعاد» (١ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

والإقامة»[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إن المؤذنين يَفْضُلوننا.

فقال رسول الله ﷺ:

«قل كما يقولون، فإذا انتهيت، فسل تُعْطَه»[2].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثنتان لا تردان ـ أو قلما تردان ـ: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يُلْجِمُ بعضهم بعضاً»[3].

٤ ـ الدعاء في السجود:

أقرب القرابين إلى القبول والاستجابة: الدعاء في السجود؛ لأنه محل القربة، وهو أشرف المواضع وأكمل حالات العبودية لله، وقد وعد الله بقبوله، فقال: ﴿**واسجدْ واقْترِبْ**﴾ [العلق: **١٩**].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر فقال:

---

(١) صحيح؛ كما بينته في «صحيح الأذكار وضعيفه» (١١٠ / ٨٧).

(٢) حسن؛ كما بينته في «صحيح الأذكار وضعيفه» (١١٢ / ٨٨).

(٣) صحيح؛ كما في المصدر السابق نفسه (١١٣ / ٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٠ ـ نووي).

«أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِن أن يستجاب لكم»[1].

٥ ـ الدعاء دبر الصلوات المكتوبات:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟

قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»[2].

قال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠ / ١٠٧):

«ويتأكد الدعاء في جوف الليل ودبر المكتوبات وبعد الأذان».

٦، ٧ ـ الدعاء عند التحام الجيوش والتقاء الصفوف ونزول المطر:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثنتان لا تردان ـ أو قلما تردان ـ: الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلجم بعضهم بعضاً»[3].

وروي أن رسول الله ﷺ قال:

«اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٤ / ١٩٦ ـ نووي).

(٢) مضى تخريجه (ص ٤٩).

(٣) مضى تخريجه (ص ٥٦).

(٤) حسن بشواهده؛ كما بينته في «صحيح الأذكار وضعيفه» (١١٨ / ٩١).

قال الإمام الشافعي رحمه الله في «الأم» (١ / ٢٥٣):

«وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة».

٨ ـ الدعاء يوم عرفة:

قال رسول الله ﷺ:

«خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[١].

٩ ـ الدعاء عند سماع صياح الدِّيَكَة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار؛ فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنه رأى شيطاناً»[٢].

قال القاضي عياض:

كان السبب فيه رجاء تأمين الملائكة على دعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بإخلاص.

واعلم أخا الإسلام أن للديك خصيصة ليست لغيره من معرفة الوقت الليلي، فإنه يقسط أصواته فيها تقسيطاً لا يكاد يتفاوت، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده لا يكاد يخطىء سواء أطال الليل أم قصر[٣].

---

(١) حسن بشواهده؛ كما بينته في «صحيح الأذكار وضعيفه» (٥٠٥ / ٣٦٥، ٥٠٦ / ٣٦٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٦ / ٣٥٠ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ٤٦ ـ ٤٧ ـ نووي).

(٣) أفاده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦ / ٣٥٣).

١٠ ـ الدعاء عند تغميض الميت:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله فقال:

«لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونوّر له فيه»[١].

١١ ـ الدعاء ليلة القدر:

يستحب الدعاء في ليلة القدر والإكثار منه لأنها ليلة مباركة تفتح فيها أبواب السماء للسائلين والداعين.

وهذا يفسره لنا حرص أم المؤمنين رضي الله عنها عندما قالت:

يا رسول الله! أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر؛ ما أقول فيها؟

قال: «قولي: اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعفُ عني»[٢].

١٢ ـ دعاء الصائم حين إفطاره:

قال رسول الله ﷺ:

«إن لله في كل يوم وليلة عتقاء من النار في شهر رمضان، وإن لكل مسلم دعوة يدعو بها فيستجاب له»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٦ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ـ نووي).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٧٦٠)، وابن ماجه (٣٨٥٠).

قلت: وهو صحيح.

(٣) أخرجه: أحمد (٢ / ٢٥٤)، والبزار (٣١٤٢)؛ من طريق الأعمش عن أبي صالح عن =

وقيل: الدعوة المستجابة عند الإفطار.

قلت: وقد ورد في ذلك أحاديث ضعيفة[1].

* * * * *

= جابر.

ورواه ابن ماجه (١٦٤٣) عنه مختصراً من طريق أخرى.

قلت: وهو صحيح.

(١) انظر: «صحيح الأذكار وضعيفه» (٥٤٩ / ١٥٢، ٥٥٤ / ١٥٦).

حالات يستجاب فيها الدعاء

وبعد أن فصلنا أوقات الإجابة، فها أنا أشرع في بيان حالات يستجاب فيها الدعاء.

١ ـ دعوة المظلوم:

دعاء المظلوم على من ظلمه بأي نوع من أنواع الظلم مستجاب على كل حال، لأن المظلوم إنما يطلب من الله عز وجل حقه، والله سبحانه لا يمنع ذا حق حقه، ولذلك قيل: لا يستجاب إلا لمخلص أو مظلوم.

وقد وردت أحاديث كثيرة في اتقاء دعوة المظلوم من ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أوصى معاذاً عندما أرسله إلى اليمن فقال:

«. . . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[١].

ولذلك فهي تصعد إلى الله كلمح البصر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار»[٢].

فيتلقاها رب العزة تبارك وتعالى مقسماً بعزته وجلاله لينصرنه ولو بعد حين، فعن خزيمة بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ:

«اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله وعزتي وجلالي

---

(١) أخرجه: البخاري (٦ / ٦٤، ١٣ / ٣٤٧ ـ فتح)، ومسلم (١ / ١٩٦ ـ ٢٠٠ ـ نووي). وهذه رواية البخاري في الموطن الأول.

(٢) أخرجه الحاكم (١ / ٢٩) بإسناد صحيح.

لأنصرنك ولو بعد حين»[1].

فالجزاء يأتي عاجلاً من رب العزة تبارك وتعالى، وقد أجاد من قال:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولذلك فاتق يا عبد الله دعوات المظلوم فإنها مستجابة، ولو كان كافراً، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»[2].

لأنه إن كان كافراً فكفره على نفسه، وكذلك إن كان فاجراً ففجوره على نفسه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»[3].

وقد أورد ابن أبي الدنيا في كتابه «مجابو الدعوة» نماذج من دعوات المظلوم (ص٥٨ ـ ٦٣)، عن ابن عباس، أنه حدثهم، قال:

«بينا أنا عند عمر بن الخطاب وهو خليفة، وهو يعرض الناس على ديوانهم، إذ مر به شيخ كبير أعمى، يجبذه قائده جبذاً شديداً. فقال عمر حين رآه: ما رأيت كاليوم منظراً أسوأ.

فقال رجل من القوم جالس عنده: وما تعرف هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: لا.

---

(١) حسن بشواهده؛ كما بينه شيخنا في «الصحيحة» (٨٧٠).
(٢) حسن؛ كما بينه شيخنا في «الصحيحة» (٧٦٧).
(٣) حسن؛ كما بينه شيخنا في «الصحيحة» (٢ / ٤٠٨ / ٧٦٧).

قال: هذا ابن ضبعا السلمي، ثم البهزي، الذي بهله بريق.

فقال عمر: قد عرفت أن بريقاً لقب، فما اسم الرجل؟

قالوا: عياض.

قال: فدعا له، فقال: أخبرني خبرك وخبر بني ضبعا.

قال: يـا أمير المؤمنين، أمر من أمر الجاهلية قد انقضى شأنه، وقد جاء الله عز وجل بالإسلام.

قال عمر: اللهم غفراً، ما كنا أحق بأن نتحدث بأمر الجاهلية منذ أكرمنا الله بالإسلام، حدثنا حديثك وحديثهم.

قال: يـا أمير المؤمنين، كانوا بني ضبعا عشرة، فكنت ابن عم لهم لم يبق من بني أبي غيري، وكنت لهم جاراً، وكانوا أقرب قومي لي نسباً، وكانوا يضطهدونني، ويظلمونني، ويأخذون مالي بغير حقه، فذكرتهم الله والرحم والجوار إلا ما كفوا عني، فلم يمنعني ذلك منهم، فأمهلتهم حتى إذا دخل الشهر الحرام رفعت يدي إلى السماء، ثم قلت:

لاهـم أدعوك دعاء جاهداً	اقتل بني الضبعاء إلا واحداً
ثم اضرب الرجل فذره قاعداً	أعمى إذا ما قيد عني القائدا

فتتابع منهم تسعة في عامهم موتاً، وبقي هذا فعي، ورماه الله في رجليه بما ترى، فقائده يلقى منه ما رأيت.

فقال عمر: سبحان الله، إن هذا للعجب.

فقال رجل من القوم: يـا أمير المؤمنين، فشأن أبي تقاصف الهذلي، ثم الخناعي أعجب من هذا.

قال: وكيف كان شأنه؟

قال: كـان لأبي تقاصف تسعة هو عاشرهم، وكان لهم ابن عم هو منهم بمنزلة عياض من بني ضبعا، فكانوا يظلمونه ويضطهدونه، ويأخذون ماله بغير حق، فذكرهم الله والرحم إلا ما كفوا عنه، فلم يمنعه ذلك منهم، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام رفع يديه إلى الله عز وجل، ثم قال:

لاهم رب كل امرىء آمن وخائف — وسامع هتاف كل هاتف
إن الخناعي أبا تقاصف — لم يعطني الحق ولم يناصف
فاجمع له الأحبة الألاطف — بين كران ثم والنواصف

قال: فتدلوا حيث وصف في قليب لهم يصلحونه، فتهور عليهم جميعاً، فإنه لقبر لهم جميعاً إلى يومهم هذا.

فقال عمر: سبحان الله، إن هذا للعجب.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، فشأن بني المؤمل من بني نصر أعجب من هذا كله.

قال: وكيف كان شأن بني مؤمل؟

قال: كـان لهم ابن عم، وكان بنو أبيه قد هلكوا، فألجأ ماله إليهم ونفسه ليمنعوه، فكانوا يظلمونه ويضطهدونه، ويأخذون ماله بغير حق، فكلمهم، فقال: يا بني مؤمل، إني قد اخترتكم على من سواكم، وأضفت إليكم مالي ونفسي لتمنعوني، فظلمتموني وقطعتم رحمي، وأكلتم مالي، وأسأتم جواري، فأذكركم الله والرحم والجوار إلا ما كففتم عني.

فقام رجل يقال له رباح، فقال: يا بني مؤمل، قد صدق والله ابن عمكم، فاتقوا الله فيه، فإن له رحماً وجواراً، وإنه قد اختاركم على غيركم من قومكم،

فلم يمنعه ذلك منكم، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام خرجوا اعماراً، فرفع يديه إلى الله عز وجل في أدبارهم، وقال:

لهم زلهم عن بني مؤمل وارم على أقفائهم بمنكل
بصخرة وعرض جيش جحفل إلا رباحاً إنه لم يفعل

فبينما هم نزول إلى جبل في بعض طريقهم، أرسل الله صخرة من الجبل تجر ما مرت به من حجر أو صخر، حتى دكتهم دكة واحدة، إلا رباحاً وأهل جنابة إنه لم يفعل.

فقال عمر: سبحان الله، إن هذا للعجب، لم يرون أن هذا كان يكون؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين أعلم.

قال: أما إني قد علمت لم كان ذلك، كان الناس أهل جاهلية، لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً، ولا يعرفون بعثاً ولا قيامة، فكان الله تعالى يستجيب للمظلوم منهم على الظالم ليدفع بذلك بعضهم عن بعض، فلما أعلم الله تعالى العباد معادهم، وعرفوا الجنة والنار والبعث والقيامة قال:

﴿بَلِ السَّاعَةُ موعِدُهُم والسَّاعَةُ أدهىٰ وأمَرّ﴾ [القمر: ٤٦].

فكانت النظرة والمدة والتأخير إلى ذلك اليوم.

عن أبي بكر بن أمية قال:

كان لنا جار من جهينة في أول الإسلام، ونحن على شركنا، وكان منا رجل محارب خبيث يقال له: «ريشة»، وكنا قد خلفناه لخبثه، فكان ولايزال يعدو على جارنا ذلك الجهني، فيصيب له البكرة والناب والشارف، فيأتوننا، فيشكونه إلينا، فنقول له: والله ما ندري ما نصنع به، قد خلعناه، فاقتله قتله الله، فوالله لا يتبعك من دمه شيء تكرهه أبداً.

حتى عدا مرة من ذلـك، فأخذ منه ناقة له خياراً، فأقبل بها إلى شعبة الوادي، ثم نحرها وأخذ سنامها، ومطايب لحمها، ثم تركها، وخرج الجهني في طلبها حين فقدها يلتمسها، فاتبع أثرها حتى وجدها، فجاء إلى نادي بني ضمرة وهو آسف مصاب، وهو يقول:

أصـادق ريشـة يا آل ضمـرة — أن ليس لله عليه قدرة
ما إن يزال شارف وبـكـره — يطعـن منهـا في سواء الثغـرة
بصـارم ذي رونـق أو شفـرة — لا هم إن كان معـداً فجـره
فاجعـل أمـام العين منـه جدره — تأكـله حتـى توافـي الجهـرة

قال: فأخـرج الله أمـام عينيه في مآقيه حيث وصف ببثـرة مثل النبقة، وخـرجنا إلى الموسم حجاجاً، فرجعنا من الحج وقد صارت أكلة أكلت رأسه أجمع، فمات حين قدمنا.

٢ و ٣ ـ دعوة المسافر والوالد:

عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن، دعوة المظلوم ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[١].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

«والسفـر بمجـرده يقتضي إجابة الدعوة (وذكر الحديث)[٢]، ومتى طال

(١) أخرجه: البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢ و٤٨١)، وأبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وأحمد (٢ / ٢٥٨ و٣٤٨ و٤٧٨ و٥١٧ و٥٢٣)، وغيرهم.
قلت: إسناده ضعيف، لكن له شاهد من حديث عقبة بن عامر.
أخرجه: أحمد (٤ / ١٥٤)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢ / ٣٨٠ ـ ٣٨١).
وفي إسناده ضعف، لكن الحديث حسن بمجموعهما، والله أعلم.
(٢) أي: حديث أبي هريرة الآنف.

السفـر كان أقرب إلى إجابة الدعاء، لأنه مظنة إنكار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق، والإنكسار من أعظم أسباب إجابة الدعوة»[1].

٤ و ٥ و ٦ ـ دعوة الحاج والمعتمر والغازي:

هؤلاء وفد الله، فحق على الله أن: يكرمهم، ويؤتيهم سؤلهم، ويحقق طلبهم، ويستجيب دعوتهم.

فعن ابن عمر عن النبي ﷺ:

«الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم»[2].

٧ ـ دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين، ولك بمثل»[3].

قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله:

«وهذا الحديث يفيد فائدة عظيمة لأنه إذا استجيب لك في أخيك لأنه غائب عنك، رجونا أن يستجاب للملك فيك لأنك غائب عنه» أ. هـ[4].

---

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٢٨٩٣)، وابن حبان (٩٦٤ ـ موارد)؛ بإسناد ضعيف.
وله شواهد من حديث أبي هريرة وجابر بن عبدالله لا تخلو من مقال، لكنها يُعْتَضَد بها.
فالحديث بها حسن، والله أعلم.

(٣) أخرجه مسلم (١٧ / ٥٠ ـ نووي).

(٤) «الدعاء المأثور وآدابه» (ص ٧٠).

٨ ـ دعوة المضطر:

أقرب الدعاء إجابة دعوة الحال: أن يكون صاحبه لا بد له أن يدعو لأجله، فهو كالغريق أو كالمعطل في مفازة وقد أشرف على الهلاك، فمن صدق اللجأ والاستغاثة أجيب في الحال. قال الله تعالى:

﴿أَمَّنْ يُجيبُ المُضطرَ إذا دَعاه﴾ [النحل: ٦٢].

وهذا تلقين للمضطر أن لا يذهل عن السماء في حال الاضطرار فإنه اضطراب، وإشارة إلى أن دعاءه مستجاب، فليقرع الباب.

وقال الله سبحانه: ﴿إذ تستغِيثُونَ ربَّكُم فاستجابَ لكم﴾ [الأنفال: ٩].

والاستغاثة من أخلص الدعاء، وأنفع أبواب الدعاء، ولذلك فلن يدعها الله هباء.

والدليل على ذلك أن من أقوى أسباب الإجابة اللجأ والاضطرار حديث النفر الثلاثة الذين أووا إلى الغار:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول:

«انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا إلى المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار.

فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء قوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق[1] قبلهما أهلاً أو

---

(١) من الغبوق، وهو الشراب بالعشي.

مالاً، فلبثت والقدَحُ على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر[١]، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج.

قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها[٢] فامتنعت مني، حتى ألمت بها[٣] سنة[٤] من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بين وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها؛ قالت: لا أُحِلُّ لك أن تفض الخاتم إلا بحقه[٥]، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت معه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ إليّ أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجلك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي. فقلت: إني لا استهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً.

---

(١) أضاء.

(٢) أي طلبت منها ما يطلب الرجل من زوجته.

(٣) نزلت بها.

(٤) الجدب.

(٥) أن تفض الخاتم: أي تكسره، والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، والمعنى: لا تزل عفافي إلا بزواج صحيح فهو حقه.

اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»[1].

هذا - رحمك الله - رفق العزيز الجبار بأهل اللجأ والاضطرار، وإن شئت مزيداً من الإيضاح فاستمع إلى حديث الوشاح:

عن عائشة أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب فأعتقوها فكانت معهم.

قالت: فخرجت صبيةٌ لهم عليها وشاح أحمر من سيور.

قالت: فوضعته - أو وقع منها - فمرت به حُدَيَّاةٌ وهو ملقى، فحسبته لحماً فخطفته.

قالت: فالتمسوه فلم يجدوه.

قالت: فاتهموني به.

قالت: فطفقوا يفتشون حتى فتَّشوا قُبلَها.

قالت: والله إني لقائمة معهم إذ مرَّت الحُدَيّاةُ فألقته.

قالت: فوقع بينهم.

قالت: فقلت: هذا الذي اتهمتموني به زعمتم، وأنا منه بريئة وهو ذا هو.

قالت: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت.

قالت عائشة: فكان لها خباء في المسجد أو حِفشٌ.

قالت: فكانت تأتيني فتحدَّث عندي.

قالت: فلا تجلس عندي مجلساً إلا قالت:

---

(١) أخرجه: البخاري (٤ / ٤٤٩ - ٤٥٠، ٦ / ٥٠٥ - فتح)، ومسلم (٢٧٤٣).

ويوم الـوشـاح من تعـاجيب ربنـا ألا إنـه من بلدة الكفـر أنجـاني

قالت عائشة: فقلت ما شأنك لا تقعدين معي مقعداً إلا قلت هذا؟

قالت: فحدثتني بهذا الحديث»(١).

وهكذا سنة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه أن يمهد مقيله في ظل كفايته، فلا بلاء يمسه، ولا العناء يصيبه.

٩ ـ دعاء الإخلاص:

اعلم رحمـك الله أن دعـاء الإخـلاص مستجـاب إن شاء الله، لأن الإخلاص حبل النجاة وطوق الحياة ألا ترى إلى قول اللعين كما أخبر عنه رب العالمين: **﴿فبعزَّتِكَ لأغوينَّهُم أجمعينَ إلَّا عبادَكَ منهم المخلَصِين﴾** [ص: ٨٣].

وخلوصـه تصفيتـه من الآفـات والوساوس، وهو أن لا يشوبه شيء من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى.

فلو لم يرغب في الإخـلاص إلا ليخـرج من غوائـل إبليس ووسـواس الشيطان لكان كافياً.

قال أبـو محمـد بن أبي زيد: كان عبـد الله بن حبيب عالم الأنـدلس مستجاب الدعوة، وأن البحر هاج بهم في اللُّجَّة، فقام فتوضأ ثم رفع يديه إلى السماء فقال:

اللهم ماذا العذاب الذي أوتينا، وما هذه القدرة؟

اللهم إن كنت تعلم أن رحلتي هذه لوجهك خالصاً، ولإحياء سنن رسولك

---

(١) أخرجه البخاري (١ / ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ـ فتح).

فاكشف عنا هذا الغم، وأرنا رحمتك كما أريتنا عذابك، فكشف الله عنهم بلطفه في الوقت[1].

ويدل على أن دعاء الإخلاص مستجاب حديث الغار الذي مضى آنفاً.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

«ولهذا لما توسل الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها له تعالى ودعوا الله بها، أجيبت دعوتهم»[2].

والدعوات المستجابة بسبب الإخلاص كثيرة وبابها واسع، ومما يزيدها وضوحاً إذا تأملنا دعوة المظلوم والمضطر وجدت أن المظلوم والمضطر يخلص في دعوته، ويجمع قلبه في دعائه ولا يشغله أمر عن استنجاز وعد الله، لأنه يرى أنه لا بد من تحقيق استجابة دعائه، وقد مضى أن من أسباب الإجابة اليقين وعدم الغفلة.

فالقلب الغافل لا يستجاب له، والمظلوم لا يلهو قلبه عن دعوته لضرورتها وفاقته، وكذلك المضطر فإنه دعاءه مستجاب من هذا الباب، فليس مع المضطر مجال أو حال ليشغل قلبه، فهو مخلص لحظة اضطراره وإن كان كافراً، وكذلك المظلوم.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«ومن لطائف أسرار اقتران الفَرَج بالكرب واليسر بالعسر: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، حصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي

---

(١) «الدعاء المأثور وآدابه» الطرطوشي (ص ٧٧ ـ ٧٨).

(٢) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ١٦٤).

تطلب بهـا الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ علىٰ اللهِ فهُوَ حَسْبُه﴾ [الطلاق: ٣][1].

١٠ و ١١ ـ دعوة الإمام العادل والذاكر الله كثيراً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الذاكر الله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط»[2].

١٢ ـ دعوة من تَعَارَّ[3] من الليل إذا أوى إلى فراشه طاهراً:

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال:

«من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى، قبلت صلاته»[4].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أوى إلى فراشه طاهراً لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا أعطاه إياه»[5].

---

(١) «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص ٣٠١).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٨ و٧٣٥٨)، وهو حديث حسن؛ كما بينه شيخنا حفظه الله في «الصحيحة» (١٢١١).

(٣) انتبه وله صوت.

(٤) أخرجه البخاري (٣ / ٣٩ ـ فتح).

(٥) حسن بشواهده؛ كما بيَّنته في «صحيح الوابل الصيِّب» (ص ١٧٦ ـ ١٧٧).

مكروهات الدعاء وبدعة

هناك أمور ينبغي الابتعاد عنها أثناء الدعاء؛ تأدباً مع مولانا الحق، ولأن ذلك أرجى لقبوله عند الله جل جلاله، وهي مكروهات الدعاء.

وهناك أمور مبتدعة لم يأت برهان من الله على صحتها أصلاً أو وصفاً، وهي بدع الدعاء.

مكروهات الدعاء

١ ـ السجع في الدعاء.

السجع المنهي عنه هو الكلام المقفى بدون وزن، المتكلف الذي ينافي الضراعة والذلة ولا يلائم الخشوع والخضوع، وهو يشاكل كلام الكهنة.

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال:

حدِّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينَّك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فَتُملُّهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»[١].

واعلم رحمك الله أن الكلمات المتوازية غير المتكلفة إذا جرت على اللسان سليقة وفطرة فلا إشكال في ذلك، ففي الأدعية المأثورة من ذلك كثير ولكنه كان يأتي من غير قصد إليه ولذلك فهو في غاية الانسجام.

---

(١) أخرجه البخاري (١١ / ١٣٨).

٢ ـ الاعتداء في الدعاء.

والاعتداء مجاوزة الحد، ومن صور ذلك:

أ ـ طلب ما منعه الله وحرّمه على عباده في الحياة الدنيا، كما سأل أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**فقالوا أرِنَا اللهَ جَهْرَةً فأخَذَتْهُم الصَّاعِقَةُ بِظُلمِهِم**﴾ [النساء: ١٠٢].

ب ـ رفع الصوت بالدعاء، كما قال تعالى: ﴿**ٱدْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعَاً وخِيفةً إنَّه لا يُحِبُّ المُعتَدِين**﴾ [الأعراف: ٥٥].

ت ـ التنطع في سؤال تفاصيل الأمور، عن أبي نعامة: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول:

اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذ دخلتها.

فقال: أي بني! سل الله الجنة، وتعوذ من النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[1].

وورد عن أبي نعامة عن ابن سعد أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا، وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا، وكذا، فقال: يا بني! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«سيكون قوم يعتدون في الدعاء».

فإياك أن تكون منهم، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها، وإن أعذت من النار، أعذت منها وما فيها من الشر[2].

---

(١) أخرجه: أبو داود (٩٦)، وابن ماجه (٣٨٦٤)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٠)، وهو صحيح.

٣ ـ الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار كالفرخ، فقال له رسول الله ﷺ:

«هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه»؟

قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا.

فقال رسول الله ﷺ:

«سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فدعا الله له فشفاه»[1].

ولذلك يكره تمني البلاء لئلا يضجر منه، ويسخطه، وربما شكا منه.

٤ ـ الدعاء على النفس والأهل والأموال.

قد يغضب الإنسان فيسيطر عليه الغضب فيدعو على كل شيء دون قصد أو تعمد، وقد نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك كما مضى في حديث جابر رضي الله عنه[2].

ولذلك ينبغي على الإنسان أن يتريث في حالات الغضب ويتصبر ويتعاطى علاج الغضب[3] كما بينها رسول الله ﷺ، وبخاصة الأب والأم فإن دعاءَهما على أولادهما مستجاب كما سبق[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧ / ١٣ ـ نووي).

(٢) انظر (ص ٢٣).

(٣) انظرها في «صحيح الوابل الصيِّب» (ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٤) انظر (ص ٢٣).

٥ ـ تحجير رحمة الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه فقال أعرابي وهو في الصلاة:

اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً.

فلما سلّم النبي ﷺ قال للأعرابي:

«لقد حجرت واسعاً» يريد رحمة الله(١).

٦ ـ تمني الموت.

عن قيس قال: أتيت خبّاباً وقد اكتوى سبعاً، قال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به»(٢).

فإن خشي العبد على نفسه الوقوع في الفتن وخشي أن يلحقه الضرر بدينه فيجوز له أن يقول ذلك ولكن كما علمنا رسول الله ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»(٣).

ولا شك أن حياة المؤمن خير له لأنه إذا مات انقطع عمله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠ / ٤٣٨ ـ فتح).

(٢) أخرجه: البخاري (١١ / ١٥٠ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ٨ ـ نووي).

(٣) أخرجه: البخاري (١١ / ١٥٠ ـ فتح)، ومسلم (١٧ / ٧ ـ نووي).

«لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»[1].

ولا يظنن ظان أن كراهية تمني الموت تعني كراهية لقاء الله، كلا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟

فقال: «ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[2].

وأكدت السيدة عائشة هذا المعنى مرة أخرى عندما سألت عن تفسير هذا الحديث فقالت:

«وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[3].

قال الإمام النووي رحمه: هذا حديث يفسر آخره أوله، ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة، من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله.

ومعنى الحديث: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧ / ٨ - نووي).

(٢) أخرجه مسلم (١٧ / ٩ - نووي).

(٣) أخرجه مسلم (١٧ / ١٠ - ١١ - نووي).

ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينقلوا إلى ما أعد لهم، ويحب الله لقاءهم أي فيجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاء الله لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم، أي يبعدهم عن رحمته وكرامته» أ. هـ.

أما ما صح عن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال في مرض موته: «اللهم الرفيق الأعلى»، فلا يفيد جواز تمني الموت، للوجوه الآتية:

١ ـ أن رسول الله ﷺ قاله في حالة النزع حيث بشر بما أعد الله له من جنات ونعيم ومقام كريم فأحب لقاء الله.

٢ ـ أن رسول الله ﷺ خير بين البقاء في أمته والتعجيل، فاختار الرفيق الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

٣ ـ وقيل إنه خاص به ﷺ دون أمته، وهو ضعيف.

بدع الدُّعاء

هذه مجموعة من بدع الدعاء نسوقها لتبقى هذه العبادة صافية، ولكي يحذر العبد مزالقها فينجو منها، والله المستعان.

١ ـ مسح الوجه بعد الفراغ من الدعاء.

هو بدعة لأنه لم يصح فيه حديث كما بينته في «صحيح الأذكار وضعيفه» (ص٩٦٠ ـ ٩٦٢).

قال العز بن عبد السلام في «فتاويه» (ص٤٧):

«ولا يمسح وجهه عقب الدعاء إلا جاهل».

وهو ما حققه الإمام البيهقي رحمه الله في «السنن الكبرى» (٢ / ٢١٢)

فانظره فإنه نفيس.

٢ ـ الدعاء الجماعي.

وهو من البدع المنكرة التي لا أصل لها في الدين، وقد أطال الشاطبي رحمه الله في بيان ذلك، في كتابه الفذ «الاعتصام»[١].

٣ ـ الدعاء المقرون بالتوسل بجاه الرسول ﷺ أو الصالحين.

وقد أطال شيخنا حفظه الله في بيان ذلك في «التوسل أنواعه وأحكامه» (ص١٢٧).

٤ ـ ترك الدعاء اتِّكالاً على أن الله عز وجل يعلم حال العبد.

وقد زعم بعضهم أن سؤال الله اتهام لله، فقالوا: سؤالك منه إتهام له.

وهذا ضلال بعيد، فقد دعى الأنبياء والصالحون، فهل هؤلاء كانوا متهمين لربهم، تعالى الله عما يظن الجاهلون علواً كبيراً.

وأصل هٰذه الضلالة التي في غاية الجهالة حديث لا أصل له، وهو:

«حسبي من سؤالي علمُه بحالي».

وهو قول منسوبٌ إلى جدِّ الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولا شكَّ أنَّه من الإسرائيليَّات؛ كما بيَّنته في كتابي «الصبر الجميل».

٥ ـ أدعية العامة.

«وقد أُولعَ كثيرٌ من العامة بأدعيةٍ منكرةٍ اخترعوها، وأسماء سمَّوها، ما أنزل الله بها من سلطان، وقد يُوجَدُ في أيديهم دستور من الأسماء والأدعية،

---

(١) وقد منَّ الله عليَّ فحققته على نسخة مخطوطة، وخرَّجت أحاديثه، فغدا بحمد الله يسُرُّ أهل العلم وطلابه وهو مطبوع متداول.

يُسمَّونه: «الألفَ الاسم»، صنعها لهم بعض المتكلِّفين من أهل الجهل، والجُرأةِ على الله عزَّ وجلَّ، أكثرها زور، وافتراء على الله عزَّ وجلَّ. فلْيَجتنبْهَا الدَّاعي إلاَّ ما وافق منها الصواب. إن شاء الله تعالى.

وممَّا يُسْمَعُ على ألسنةِ العامَّة، وكثيرٍ من القُصَّاص، قولُهم: يا سبحان، يا برهان، يا غُفران، يا سلطان، وما أشبه ذلك.

وهذه الكلمات، وإن كان يتوجَّه بعضها في العربية على إضمار النِّسبة بذي، فإنَّه مستهجنٌ، مهجورٌ، لأنَّه لا قدوة فيه، ويغلط كثيراً منهم في مثل قولهم: يا ربَّ طه، ويسٓ، ويا ربَّ القرآن العظيم.

وأول من أنكر ذلك ابن عباس ـ رحمه الله ـ فإنَّه سمع رجلاً، يقول عند الكعبة: «يا رب القرآن». فقال:

«مَهْ! إنَّ القرآن لا ربَّ له، إنَّ كُلَّ مربوبٍ مخلوق».

فأمَّا أغاليط من جمح به اللسان، واعتسف أودية الكلام من الأعراب، وغيرهم، الذين لم يُعنوا بمعرفة الترتيب، ولم يقوِّمهم ثقافُ التأديب، كقول بعضهم في استسقاء الغيث:

ربَّ العبادِ مَا لَنَا وما لَكَا
قد كُنْتَ تَسْقِيْنَا فَمَا بَدَا لَكَا
أنزِلْ عَلينا الغيثَ لا أبَا لكا

وكقول القائل من قُريش حين هَدَمُوا الكعبة في الجاهلية، وأرادوا بناءهُ على أساس إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ فجاءت حيَّةٌ عظيمة، فحملت عليهم، فارتدعُوا. فعند ذلك قال شيخٌ منهم كبير:

«اللهم لا تُرَعْ، ما أردنا إلاَّ تشييد بيتك، وتشريفه».

وكقول بعضهم ـ وإن كان من المذكورين في الزُّهَّاد ـ:

«نعم المرءُ ربُّنا، لو أطعناهُ؛ لم يَعْصِنا».

فإنّها في أخواتها، ونظائرها عجرفيّة في الكلام، وتهورٌ فيه، والله ـ سبحانه ـ مُتَعَالٍ عن هٰذه النعوتِ، وذِكرُهُ مُنَزَّهٌ عن مثلِ هذه الأمور، وقد رَوَيْنا عن عونِ بن عبد الله، أنَّه كان يقول:

«ليعظِّم أحدكم ربَّهُ، أن يذكر اسمه في كلِّ شيءٍ، حتى يقولَ: أخْزَى اللهُ الكلبَ، وفعل الله به كذا».

وكان بعضُ من أدركناهُ من مشايخنا قلَّ ما يذكر اسم الله ـ جَلَّ وعزَّ ـ إلاّ فيما يتَّصلُ بطاعة، أو قُربة، وكان يقولُ للرَّجل إذا جزاهُ خيراً: جُزيتَ خيراً، وقلَّ ما يقولُ: جزاكَ اللهُ خيراً[1]، إعظاماً للاسم أن يُمْتَهَنَ في غيرِ قُرْبَةٍ أو عبادةٍ»[2].

٦ ـ اللحن في الدعاء:

«ومما يجبُ أن يُراعى في الأدعيةِ، الإعرابُ الذي هو عمادُ الكلام، وبه يستقيم المعنى، وبعدمه يختلُّ، ويفسُدُ، وربُّما انقلبَ المعنى باللَّحْن حتى يصير كالكفر ـ إن اعتقدَهُ صاحبُهُ ـ؛ **كدُعاء من دعا**، أو قراءة من قرأ: **﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** بتخفيفِ الياء من إيَّاك، فإنَّ الأيَا ضياءُ الشَّمسِ، فيصيرُ كأنَّهُ يقولُ شمسَكَ نعبُدُ. وهذا كفر.

وأخبرني محمد بن بحر الرُّهَنيُّ، قال: حدثني الشاه بن الحسن قال: قال: أبو عثمان المازنيُّ لبعض تلامِذَتِهِ: عليك بالنَّحو، فإنَّ بني إسرائيل كفرت

---

(١) ما كرهه هٰذا الشيخ هو المنقول عن الرسول ﷺ، فلا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ، وهٰذا نوع تنطُّع لا أصل له في دين الله.

(٢) «شأن الدعاء»، الخطابي، (ص ١٦ ـ ١٩).

بحرفٍ ثقيلٍ خفَّفُوهُ، قال الله عزّ وجلَّ لعيسى: ﴿إنِّي ولَّدتُكَ﴾ فقالوا: «إني وَلَدتُكَ» فكفروا.

وأخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، قال: حدَّثنا ابنُ المَرْزُبانِ عن الرِّيَاشِيِّ، قال: مرَّ الأصمعيُّ برجلٍ يقول في دُعائِه: «يا ذُو الجلالِ والإكرامِ» فقال: ما اسمكَ؟ قال: ليثٌ. فأنشأ يقول:

يُنَادي رَبَّهُ باللحنِ لَيْثٌ ... لِذَاكَ إذَا دَعَاهُ لا يُجيبُ»[1]

* * * * *

(١) «شأن الدعاء»، الخطابي، (ص ١٩ - ٢٠).

مجابو الدعوة

اعلم أيها العبد المؤمن أن فعل الطاعات يكون موجباً لاستجابة الدعاء، ولذلك قيل: مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر.

وقال بعض السلف:

لا تستبطىء الإجابة، وقد سددت طرقها بالمعاصي.

وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

نحن ندعو الإله في كل كرب ... ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابة لدعاء ... قد سددنا طريقها بالذنوب

وحديث الولي دليل على أن الطاعات سبب في استجابة الدعوات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1].

ففي هذا بيان أن المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء أعاذه منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله عز وجل.

وقد أخبرنا الرسولُ ﷺ عن كثير من صالحي الأمم السابقة كانوا مجابي

---

(١) أخرجه البخاري (١١ / ٣٤٠ ـ ٣٤١، فتح).

الـدعوة، وكذلك كان كثير من السلف الصالح معروفاً بإجابة الدعوة، وسأتلو عليك من أنبائهم ما صحت به الأخبار.

١ ـ الثلاثة الذين تكلموا في المهد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجـلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أُمُّهُ وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.

فتـذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بَغِيٌّ يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لافتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صَوْمَعَةٍ فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو ابن جريج، فأتوه فاستزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه. فقال: ما شأنكم قالـوا زنيت بهـذه البغي فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاؤا به، فقال: دعوني حتى أصلي فصلى، فلما انصرف، أتى الصبي فطعنه في بطنه وقال: يا غلام! من أبـوك؟ قال: فلان الـراعـي. قال: فأقـبلوا على جريج يقبلونـه ويتمسحون به، قالوا نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا.

وبينما صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فَارِهَةٍ وشَارَةٍ حسنةٍ، فقالت أمُّهُ: اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه فقال:

اللهم! لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع.

قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها.

قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمة: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث فقالت حَلْقى: مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابني مثله، فقلت اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت اللهم اجعلني مثلها.

قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق، فقلت اللهم اجعلني مثلها»[1].

٢ ـ حديث النفر الثلاثة الذين آووا إلى الغار، وقد مضى بتمامه (ص ٦٨ ـ ٧٠).

٣ ـ حديث الغلام المؤمن:

عن صهيب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«كان ملك فيمن كان قبلَكم، وكان له ساحرٌ، فلما كبر قال للملك: إنِّي قد كبرتُ فابعث إليَّ غلاماً أعلِّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلِّمه، وكان في طريقه إذا سلك راهبٌ[2]، فقعد إليه، وسمع كلامه، فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالرَّاهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحِر ضربَه، فشكا ذٰلك إلى الرَّاهب،

---

(١) أخرجه: البخاري (٦ / ٤٧٦ ـ فتح)، ومسلم (٢٥٥٠) (٨) واللفظ له.
(٢) هو المتعبد من النصارى.

فقال:

إذا خَشيتَ الساحِر فقُل: حبَسني أهلي، وإذا خشيتَ أهلكَ فقل: حبسني الساحر.

فبَيْنما هو على ذلك، إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليومَ أعلمُ الساحرُ أفضلُ أم الرَّاهب أفضلُ؟ فأخذ حجراً فقال:

اللهمَّ إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر؛ فاقتُل هٰذه الدابَّة حتَّى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب، فأخبره.

فقال له الراهب:

أي بُنيَّ، أنت اليوم أفضل منِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنَّك ستُبْتَلى، فإن ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ.

وكان الغلام يُبرىء الأكمه[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء[2]، فسمع جليسٌ للملك كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال:

ما ها هنا لك أجمعُ إن أنت شفيتَني. فقال:

إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنتَ بالله تعالى دعوتُ الله فشفاك.

فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك:

من ردَّ عليك بصرك؟

---

(١) هو الذي ولد أعمى.
(٢) الأمراض.

قال: ربِّي.

قال: أولكَ ربٌّ غيري؟

قال: ربِّي وربُّك الله.

فأخذه، فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك:

أي بنيَّ، قد بلغ من سحرِك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل.

فقال: إنِّي لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى.

فأخذه، فلم يزلْ يعذِّبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوُضِع المنشار في مفرق رأسه[1] فشقَّه حتَّى وقع شقَّاه.

ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوُضِع المنشار في مَفْرق رأسه، فشقَّه به حتَّى وقع شقَّاه.

ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال:

اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتُم ذِروته[2]، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاطرحوه.

فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال:

اللهمَّ اكفِنيهم بما شئت.

---

(١) وسطه.

(٢) أعلاه.

فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك:

ما فعلَ أصحابُك؟ فقال:

كفانيهمُ الله تعالى.

فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال:

اذهَبوا به، فاحمِلوه في قُرْقُورٍ[1]، وتوسَّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلَّا فاقذِفوه.

فذهبوا به، فقال:

اللهمَّ اكفنيهم بما شئت.

فانكفأت بهِم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك:

ما فعل أصحابك؟ فقال:

كفانيهم الله تعالى. فقال للملك:

إنك لست بقاتلي حتَّى تفعل ما آمرك به. قال:

ما هو؟ قال:

تجمع الناس في صعيد[2] واحد، وتصلبني على جذعٍ[3]، ثم خذ سهماً من كنانتي[4]، ثم ضع السهم في كبد القوس[5]، ثم قل: بسم الله ربِّ الغلام،

(١) نوع من السفن.

(٢) الأرض البارزة.

(٣) العود من أعواد النخل.

(٤) بيت السهام.

(٥) وسط القوس.

ثم ارمني ؛ فإنك إذا فعلتَ ذلك قتلتَني .

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلَبَه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كنانَته ، ثم وضع السهمَ في كبِد القوس، ثم قال: بسم الله ربِّ الغلام، ثم رماه ، فوقع السهم في صُدْغِه ، فوضع يدَه في صُدغه ، فمات ، فقال النَّاس : آمنَّا بربِّ الغُلام .

فأُتِي الملك، فقيل له : أرأيتَ ما كنتَ تحذرُ؟ قد والله نزل بك حذَرُك ، قد آمن الناس .

فأمر بالأخدود[1] بأفواه السِّكك ، فخُدَّت ، وأضرِم فيها النيران ، وقال :

مَن لم يرجِع عن دينِه فأقحِموه فيها[2] أو قيلَ له : اقتَحِم .

ففعلوا ، حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها ، فتقاعَسَتْ أن تقعَ فيها ، فقال لها الغُلام : يا أمَّهْ! اصْبِري فإنَّك على الحقِّ»[3] .

٤ ـ عن حميد أن أنساً حدثهم أن الرُّبَيِّع ـ وهي بنت النضر ـ كسرت ثنية جارية ، فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأبوا ، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص .

فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الرُّبَيِّع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها .

فقال : «يا أنس كتاب الله القصاص» .

فرضي القوم وعفوا .

فقال النبي ﷺ : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[4] .

---

(١) الشقوق . (٢) القوة فيها .

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٥ / ٣٠٦ ـ فتح) .

٥ ـ عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعد إلى عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولَيَيْن وأُخفّ في الأخريّين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً ـ أو رجالاً ـ إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عيس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سَعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن.

وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ ٌكبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[١].

٦ ـ ومنهم البراء بن مالك رضي الله عنه كما أخبر عنه الرسول ﷺ فقال:

«كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك»[٢].

ومن دعـواته المستجابة: «أن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشـركـون في المسلمين، فقـالوا: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: «إنك لو

---

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٢٣٦ ـ فتح).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤) بإسناد جيد، وله طرق كثيرة عن أنس يرتقي بها إلى درجة الصحة.

أقسمت على الله لأبرك»، فاقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ، فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً»[1].

* * * * *

(١) أخرجه الحاكم (٣ / ٢٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

أحاديث لا تصح في الدعوات المستجابة

وقفت على رسالة السيوطي رحمه الله الموسومة بـ «سهام الإصابة في الدعوات المجابة»، فألفيتها محشوة بالأحاديث الموضوعة والضعيفة، ومن ذٰلك:

* «خمس دعوات مستجاب لهن: دعوة المظلوم حتى ينتصر، ودعوة الحاج حتى يصدر، ودعوة الغازي حتى يقفل، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، وأسرع هٰذه الدعوات إجابة دعوة الأخ بظهر الغيب»(١).

* «إذا أحرم أحدكم؛ فليؤمن على دعائه، إذا قال: اللهم اغفر لي؛ فليقل: آمين، ولا يلعن بهيمة، ولا إنساناً؛ فإن دعاءه مستجاب، ومَن عم بدعائه المؤمنين والمؤمنات؛ استُجيب له»(٢).

* «إذا دخلت على مريض؛ فمره يدعو لك؛ فإن دعاءه كدعاء الملائكة»(٣).

* «دعوة المريض مستجابة»(٤).

* «دعاء المُحْسَن إليه للمحسِن لا يردُّ»(٥).

* «إن لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له»(٦).

(١) موضوع؛ كما في «الضعيفة» لشيخنا (١٣٦٤).

(٢) موضوع، وانظر: «تنزيه الشريعة» لابن عرَّاق (٢ / ١٧٤)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص ١٠٩).

(٣) ضعيف جدّاً؛ كما بينته في «صحيح كتاب الأذكار وضعيفه» (٤١٧ / ١٢٠).

(٤) ضعيف جدّاً، وانظر: «مجمع الزوائد» (٢ / ٢٩٥).

(٥) ضعيف جدّاً؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» لشيخنا (٢٩٧٥).

(٦) ضعيف؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» لشيخنا (٤٦٦٧).

* «ما اجتمع ثلاثة قط بدعوة؛ إلا كان حقّاً على الله أن لا يردَّ أيديهم»[١].

* «إذا فاءت الأفياء، وهبَّت الأرياح؛ فارفعوا إلى الله حوائجكم؛ فإنها ساعة الأوابين»[٢].

* «خمس ليال لا تردُّ فيها دعوة: أول ليلة في رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلتا العيدين»[٣].

* «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب»[٤].

* «مع كل ختمة دعوة مستجابة»[٥].

* «من صلَّى فريضة؛ فله دعوة مستجابة»[٦].

* «من كانت له حاجة؛ فليدع بها دُبُر صلاة مفروضة»[٧].

* «إن مما يستجاب عنده الدعاء: العطاس»[٨].

* «ثلاثة مواطن لا تردُّ فيها دعوة عبد: رجل يكون في بريَّةٍ حيث لا يراه

---

(١) موضوع، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣ / ٢٢٦)، وفي إسناده حبيب كاتب مالك، وهو متروك، كذبه أبو داود وجماعة.

(٢) ضعيف؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» (٦٢٨ و٧٠١).

(٣) موضوع؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٨٥١).

(٤) موضوع؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٠٣٨).

(٥) ضعيف؛ كما في «فيض القدير» للمناوي (٥ / ٥٢٣)، وأقره شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٢٦٧).

(٦) ضعيف؛ كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٧ / ١٧٢)، وأقره شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٥٦٧٨).

(٧) ضعيف جدّاً، وانظر: «تهذيب تاريخ دمشق» لابن بدران (٤ / ٥١ ـ ٥٢).

(٨) أخرجه الطبراني (٢٢ / ٣٣٦ / ٨٤٣) عن أبي رهم السمعي مرسلاً؛ فهو ضعيف، وقول السيوطي: «بسند حسن»؛ ليس بحسن؛ لأن أبا رهم تابعي مخضرم.

أحد إلا الله، ورجل يكون معه فئة فيفر عنه أصحابه فيثبت، ورجل يقوم من آخر الليل»[1].

* إذا قال العبد: يا رب! يا رب! أربعاً؛ قال الله: لبيك عبدي! سل تعطه»[2].

وغيرها كثير.

* * * * *

(١) ضعيف جدّاً؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» لشيخنا (٢٥٨٦).

(٢) ضعيف جدّاً؛ كما في «ضعيف الجامع الصغير» لشيخنا (٧١٠).

فهرس الأحاديث النبوية

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * * * *